الإسكندر الأكبر والإسكندرية

١٥ - ١٨ يناير ١٩٩٦

ورقة عمل حول

تأثير الثقافة اليونانية فى مظاهر الحياة الإجتماعية والثقافية والسياسية بالإسكندرية

د. يسرى دعبس

الثقافية اليونانية وتأثيرها فى مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية بالإسكندرية

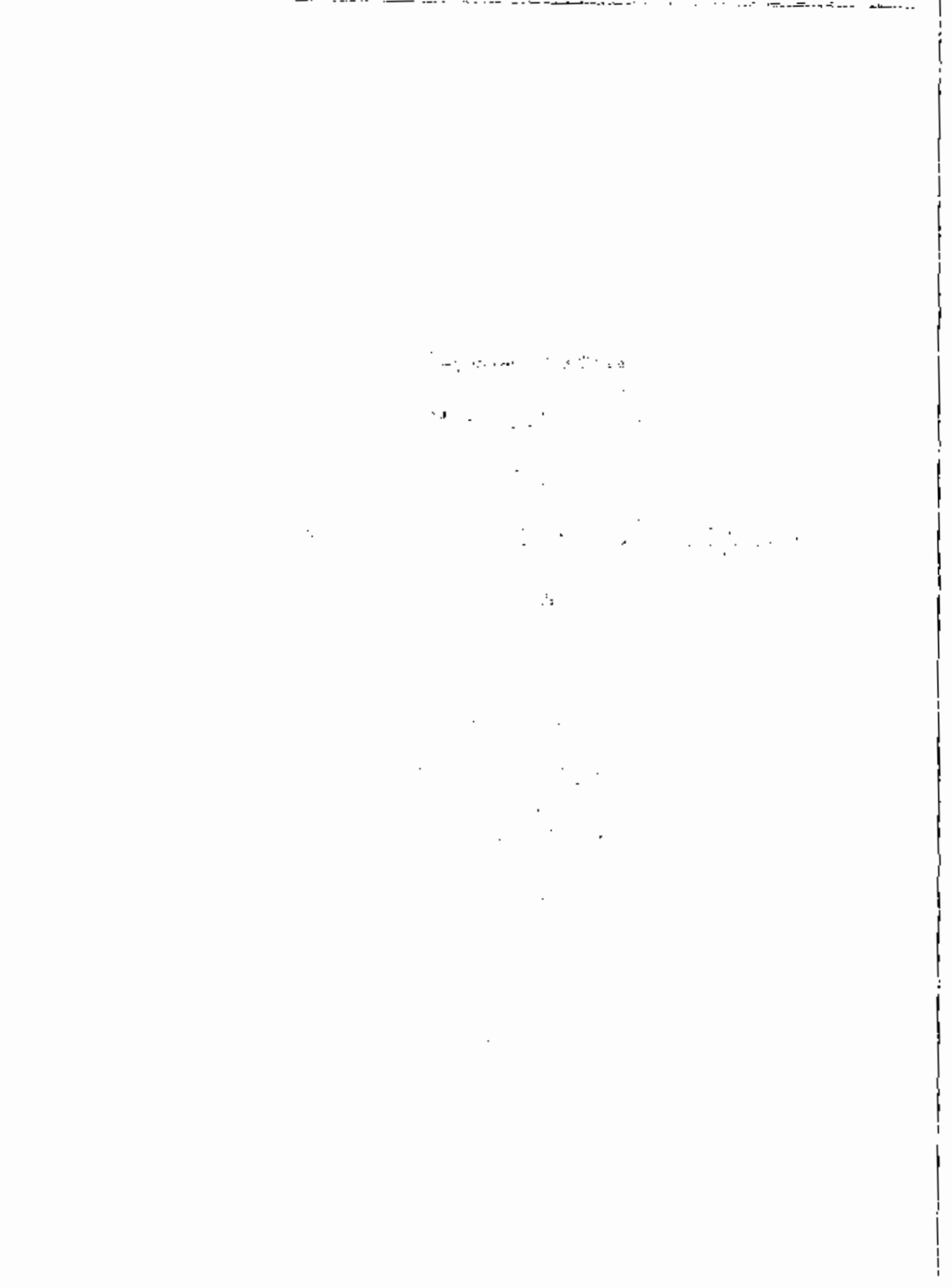

تمهيد:

لقد كان الإسكندر يحزن كلما انتصر أبوه فى إحدى المعارك الحربية خصوصاً بعد أن أقنعته أمه بأنه ابن كبير الآلهة، ولذلك كان يقول إذا انتصر أبى فى كل المعارك التى يخوضها فماذا يترك بعد ذلك ... هذا هو الإسكندر القائد المقدونى الذى عاتب أستاذه الفيلسوف العظيم «أرسطو» عندما نشرت محاضراته فكتب إليه معاتباً «عتابا من الإسكندرية إلى أرسطو» لم تحسن صنعاً أن نشرت بعض محاضراتك فقد كان من الواجب عليك أن تجعلها سراً نباهى به الأمم ولا أزال أفضل أن تكون لى قوة العلم لا قوة السلاح.

كما أنه فى عام ٣٣٤ ق.م وقبل قيامه بغزواته لآسيا أى منذ أكثر من ألفى عام سافر إلى مصر فسحره نيلها العظيم وسماؤها الصافية وبحرها الأبيض فأقام فيها عاماً كاملاً استطاع بذكائه وفطنته أن يختار المكان المناسب لإنشاء مدينة الإسكندرية ... وذلك بعد أن وطأت قدماه رمال جزيرة «فاروس» حيث وقف مشدوها بشواطئها الجميلة وموقعها الفريد .. فقال :

«هنا سأبنى مدينتى التى طالما حلمت بها»

وهى تعد واحدة من تسع مدن تحمل اسمه ولقد تحول الحلم إلى حقيقة عندما بدأ «دينوقراطيس» عام ٣٣٢ ق.م تخطيط المدينة الجديدة «الإسكندرية» بربط جزيرة فاروس بالشاطئ لينشأ عنه ميناءان «الميناء الشرقى والميناء الغربى» وانتهى العمل فى إنشائها عام ٣٣١ ق.م وبنيت الإسكندرية على نسق المدن اليونانية الكبرى آنذاك حيث تتعامد الشوارع

العرضية على الشوارع الرأسية بما يشبه قطعة الشطرنج.

وكان الإسكندر يستهدف من وراء تأسيس الإسكندرية عدة أهداف نجمل أهمها في النقاط التالية :

* أراد من الناحية الحضارية أن تصبح الإسكندرية مدينته الجديدة التي أقامها على أسس الحضارة الإغريقية معيناً لا ينضب لهذه الحضارة ينشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحه ولخضاعه لسيطرته.

* وأراد أن تكون الإسكندرية من الناحية العسكرية قاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرقي البحر الأبيض المتوسط.

* جعل الإسكندرية ميناءً تجارياً جديداً خصوصاً بعد تحطيمه لميناء صور وهو في طريقه إلى مصر نتيجة صمود أهل صور في الدفاع عنها.

* ازدياد علاقة مصر بعالم بحر إيجة على مدى قرون قبل قدوم الإسكندر .. فقد كان الفراعنة يتركون عواصمهم في الجنوب ويتخذون لأنفسهم عواصم جديدة في الدلتا ... وكان طبيعياً أن ينمي الإسكندر هذه العلاقة ويزيدها قوة ومتانة، فكان من الأهمية بمكان إنشاء ميناء يطل على بحر إيجة ... يكون جديراً بأهمية مصر وثرائها المادي والحضاري[1]

ولقد اتخذ بطليموس الإسكندرية عاصمة لملكه الجديد الذي ساده على جنبات الوادي بمصر .. وغدت في عهده أكبر ميناء في البحر المتوسط حينذاك ... بل غدت عاصمة للعالم القديم بأسره ... وظلت الإسكندرية تتمتع بمكانتها الرفيعة طوال العصر البطلمي، ولما فتح الرومان مصر وحولوها

إلى ولاية من ولايات إمبراطوريتهم الواسعة في عام ٣٠ ق.م بقيت الإسكندرية مركزاً لحكم الوادى أكثر من ستة قرون أخرى انتهت بالفتح العربى.

ولقد وجه بطليموس بن لاجوس عناية كبرى بالإسكندرية فنقل عاصمته إليها وجعلها أعجوبة العالم حينذاك، ترتفع في ميناثها فوق جزيرة فاروس هذه المنارة الشهيرة التي خلعت اسمها من بعد على مثيلاتها في كثير من اللغات الحديثة ... وكان يرقد جثمان الإسكندر في منطقة «سيما» بينما يوجد معبد «السرابيوم» الشهير شاهداً علي أن سرابيس كان إلهاً مصرياً ... وأقيم بها معهد للتربية وميدان للألعاب الرياضية وحلبة لسباق الخيل ومسرح كبير .. وشيد بها القصر الملكي الرئيسي فوق جزيرة صغيرة شرق الميناء، وإلى جواره القصر دار العلم والمكتبة التي جمع لها البطالمة أكثر من نصف مليون لفافة بردية ... هذه المكتبة التي شهدت إبداعات عباقرة العلماء والأدباء من مختلف بلدان العالم، ففي الإسكندرية اكتشف إريستارخوس دوران الأرض حول الشمس، واستطاع أرانوستيس قياس محيط الكرة الأرضية، وكتب أقليدس كتاب المبادئ في علم الهندسة، واخترع هيرون الآلة البخارية، وذاع صيت مدرسة الطب بالإسكندرية في التشريح والجراحة[٢].

وبناء عليه جسدت المدينة عبقرية المكان بموقعها بين البحر واليابسة .. فتتزود بما يفد إليها عن طريق البحر بثمرات العقل البشرى عبر عمليات الاتصال الثقافي بمفهومه الشامل ... وجسدت أراضيها بموقعها على أرض

مصر عراقتها وحضارتها الأصلية علي مر العصور.

ولقد كانت ولا تزال الإسكندرية تخاطب العقل والوجدان وتحمل بين ذكرياتها حلم الإسكندرية وتاج قيصر وعرش كليوباترا، وعروس البحر المتوسط ومنارة للإشعاع الفكرى والتواصل الحضارى وموطن الفن والجمال.

وتهدف هذه الورقة إبراز تأثير الثقافة اليونانية فى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية بمصر بصفة عامة وبالإسكندرية بصفة خاصة ... خصوصاً وأن المصريين قد تعاونوا مع الإسكندر وساعدوه فى هزيمة الفرس لأنه احترم ديانتهم ولم يجبرهم علي تغييرها ... وقد توجه كهنة مصر فرعونا علي البلاد ... وكان نتيجة ذلك حدوث اتصال ثقافى واسع بين الحضارة اليونانية والحضارة المصرية وما تمخض عنه من عمليات التأثير والتأثر ومن ثم الاقتباس والاستعارة والافتتاء بين الحضارتين.

تساؤلات ورقة العمل:

* ما هو تأثير الثقافة على اليونانية على كافة الأنشطة الثقافية والفكرية والأدبية والفنون المصرية بصفة عامة والسكندرية بصفة خاصة.

* ماهو تأثير الثقافة اليونانية على النظم السياسية المصرية كالدواوين وخلافه وكذلك أنماط العمل والإنتاج وظروف الحياة المجتمعية فى تلك الفترة خصوصاً وأن اللغة اليونانية كانت اللغة الرسمية فى دواوين مصر وظلت حتى سنة ٤٠٠ م خلال الحكم الرومانى.

* التعرف على عملية التمثيل والتأثير بين الثقافة اليونانية والثقافة المصرية وانعكاس ذلك على أنماط التفاعل الاجتماعي بمختلف صوره بين اليونانيين والمصريين بصفة عامة والسكندريين بصفة خاصة وأثر ذلك في بداية النهاية على عمليات التكيف والتفاهم والتوافق والصراع والتعاون ... الخ.

* التعرف على الرؤية المتبادلة لكل من الشخصية اليونانية والشخصية المصرية .. رؤية الذات اليونانية للذات المصرية وبالعكس.

وسأعتمد في هذه الورقة على الكتب التاريخية المختلفة التي تناولت تلك الفترة وأقوم بتحليل المعلومات وربطها ببعضها ومحاولة تقصي كثير من الأحداث وربطها ببعض.

وسأعتمد كذلك على بعض أعضاء الجالية اليونانية واليونانيين المسنين الذين وفد أجدادهم منذ أمد بعيد وقرأوا وسمعوا من أجدادهم وآبائهم عن طبيعة توافدهم إلى مصر بصفة عامة والإسكندرية بصفة خاصة وظروف الحياة الاجتماعية والثقافية التي عاشوها نتيجة تواصلهم وتواجدهم على أرض مصر وطبيعة عمليات الاتصال الثقافي في الزمن البعيد وما تمخض عنه من تراث خالد أضاف للحضارة المصرية عمقاً وأصالة.

أولاً: الإسكندرية وحلم تكوين إمبراطورية تجمع بين العالم الشرقي والغربي:

إسكندر المقدوني هو الإسكندر الثالث ابن فيليبوس الثاني المقدوني من زوجته أوليمبياس، ولد في بيلا في ٣٥٦ ق.م وقد يكون ليسيماخوس أول من علمه، إلا أن أرسطو قد تولى أمر تعليمه بدءاً من الثالثة عشرة من عمره في علم الأخلاق والسياسة والفلسفة وفن الحكمة .

وقد تولى الإسكندر حكم مقدونياً بعد اغتيال فيليب فى عام ٣٣٦ ق.م ، وقد ثارت عليه بعض المدن اليونانية لاختيار مدة قوة الحكم الجديد .. وقد أثبت الإسكندر صلاحيته فاستولى على طيبة وهدمها وإسترق أهلها، ولم يبق من بيوتها سوى بيت الشاعر بنداروس، وتبعاً لذلك أعلنت مدن اليونان جميعها ولاءها للإسكندر، وخرج الإسكندر فى حملته على الشرق عام ٣٣٤ ق.م[٣].

وجدير بالذكر أن ظهور الإسكندر المقدونى هذا القائد المحنك والسياسى البارع كان إيذاناً ببداية عصر جديد، ومرحلة حضارية جديدة فى المنطقة التى مثلت قبل ظهوره عالمين مختلفين .. أولهما العالم الشرقى ويضم أغلب المناطق الأسيوية والأفريقية المتاخمة للبحر المتوسط واستداداتها نحو الشرق ... وثانيهما العالم الغربى ويضم مقدونيا وبلاد اليونان ومستعمراتها علي الساحل الغربى لشبه جزيرة آسيا الصغرى.

ولما كان حلم الإسكندر وهدفه النهائى هو توحيد العالمين فليس بمستغرب اتجاهه نحو الشرق واستمرار فتوحاته وانتصاراته خصوصاً وأن الجزر كانت منتشرة بشكل واضح فى حوض بحر إيجه مما جعل من السهولة بمكان قيام اتصلات بين شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى.

وبناء عليه لم يكن البحر مانعاً لحدوث ثمة اتصال ثقافى أو غزو ثقافى بين المنطقتين وما يترتب على ذلك من عمليات التأثير والتأثر بين الثقافات والحضارات المختلفة.

وهناك حقيقة جديرة بالذكر وهى أن بلاد اليونان مع استقرارها وممارستها لنشاطها الاقتصادى التجارى الخارجى قد كانت قبلتها الإتجاه نحو الشرق ... وكان نتيجة ذلك أن الهجرات اليونانية إلى ساحل آسيا الصغرى كانت تمثل أعلى كثافة سكانية ... وكان ظهور قرطاجة قوة جديدة فى الجزء الغربى من البحر المتوسط للدرجة التى تسمح بتواجد قوة أخرى معها، بناء عليه تأكد فكرة الاتجاه إلى الشرق لدى اليونانيين(٤).

وهناك حقيقة أخرى جديرة بالذكر أن الاتصال بين اليونان والشرق قد كان قبل عصر الإسكندر وهناك عدة أمور تؤكد ذلك نجمل أهمها فى النقاط التالية :

- تصور أشعار هوميروس فى الإلياذة احتكاك اليونانيين عسكرياً بطروادة علي ساحل آسيا الصغرى قبل ظهور الإسكندر بحوالى أربعة قرون.

- أقام الفرعون تحتمس الثالث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أحد قواده حاكماً على جزر بحر إيجة.

- ظهور تأثير الفن المصرى بشكل واضح على الفن اليونانى وبصفة خاصة فى مراحله الأولى، سواء فى العمارة ببداية ظهور الأعمدة الدورية أو فى الصور المبكرة فى فن النحت.

- انتشار عبادة الإله آمون المصرى فى اليونان وأقيم له معبد فى أثينا وكان له عرافوه الذين وضعوه فى مصاف عرافى دلفى ودودونا (٥).

إن هذا الاتصال بين حضارة العالم الشرقي والعالم الغربي قد تخلف عنه إقتباس أو استعارة لبعض السمات الثقافية المادية وغير المادية بين هذين العالمين إلا أنه لم يصل إلى حد التمثيل الثقافي على حد تعبيرنا كانثروبولوجيين وتمثل أو تبني طرف من الأطراف لنظم حياة الطرف الآخر من جميع الجوانب ....

ولم يحدث ثمة مزج إلى حد كبير بين العالمين الشرقي والغربي إلا خلال الفترة القليلة في سنواتها والعظيمة في تأثيرها في مختلف جوانب الحياة في العالم إبان غزوات وانتصارات الإسكندر وتكوين إمبراطوريته التي تفتتت بعد موته المبكر نتيجة صراعات قادته وأطماعهم ...

وهناك حقيقة جديرة بالذكر وهي أن الإسكندر برغم موته صغيراً (الثالثة والثلاثين من عمره) إلا أن إنجازاته قد غيرت مجرى التاريخ وأصبحت الظروف التي وجدت من بعده كفيلة لتحقيق حلم المزج بين أوربا وآسيا ... وهذا ما كان بالفعل فبعد إنتهاء الإمبراطورية الفارسية «أصبحت تخضع من أقصاها لحكام مقدونيين يتمتعون جميعاً بقسط من الثقافة الهيلينية، وبات من الطبيعي الاعتماد على سواعد مرتزقة الإغريق وعلماء ومثقفين ورجال الاقتصاد والإدارة والفنيين الإغريق كي يوطدوا دعائم ممالكهم ونشر ثقافتهم وفنونهم عن طريق الاتصال الثقافي بمفهومه الأنثروبولوجي الواسع مع أبناء الممالك التي تخضع لهم.

بناء عليه تدفق تيار الهجرة الإغريقي للبلاد التي فتحها لهم بعد وفاته وحمل هؤلاء المهجرون معهم فنونهم وآدابهم وأساليب معيشتهم، كما نقلوا

نظمهم المدنية ومعاهدهم جيميناڑيوم Gymnasium، وألعابهم وأعيادهم ... أى مختلف عناصر التراث الثقافى لهم، وكان لابد لهم من أن يحدث بينهم وبين أبناء المواطن الأصلية فى مصر وآسيا إتصالاً ثقافياً كما سبق القول يتم من خلاله عمليات الاقتباس والإستعارة والاقتناء والتمثيل الثقافى وبالتالى يحدث التكيف الاجتماعى بين المهاجرين وأبناء الموطن الأصلى ...

وبناء عليه أشرك الحكام الجدد رعاياهم الوطنيين فى ميادين العمل الحكومى، ولم يخضعوا هم أنفسهم للمؤثرات الشرقية، وذلك برغم مناداتهم لسياسة الإسكندر التي كانت تقضي بمعاملة الفرس كأنداد [٦] .

لقد حكم بطليمو مصر كوالٍ ... وأعلن نفسه ملكا علي مصر عام ٣٠٦ق.م. وكانسدر في مقدونيا وسيلوكوس في سوريا وكان هذا رد فعل علي إعلان أنتيجونوس نفسه ملكا علي مقدونيا ... وبذلك تكونت الممالك الثلاث الكبري التي قدر لها أن تسيطر علي العالم الهلينستي.

ثانيا: الاتصال الثقافي بين الحضارة اليونانية والمصرية القديمة:

يقصد بالاتصال الثقافي أو الاتصال الحضاري وهما تعبيران يعبران عن حقيقة واحدة اتصال ثقافة أو حضارة بثقافة أخري أو بحضارة أخرى بغض النظر عن مستوى الثقافة أو درجة التطور الحضارى فى المتصل أو المتصل به ...

والاتصال الثقافى بمفهومه الأنثروبولوجى الواسع يتعدى نماذج الاتصال الشخصى والاتصال الجماهيرى لأنه اتصال بين الثقافات

والحضارات في مجالات الاقتصاد والفنون والآداب وما يتخلل ذلك من عمليات الاقتباس والاستعارة للسمات المادية وغير المادية لثقافات الشعوب المتواصلة ..

ويختلف مفهوم الاتصال الثقافي عن الغزو الثقافي بالرغم من أنهما يشتركان في استخدام وسائل الإعلام خصوصاً بعد التطور التكنولوجي في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية وزيادة الموجات والقنوات في مختلف الوسائل السمعية والبصرية والتي يمكن أن تقطع على الإنسان أياً كان خلوته وعزلته ،أصبح العالم مثل قرية صغيرة، ويتناقض المصطلحان كل منهما عن الآخر كما يتضح في الفروق التالية :

١- الإكراه والاخضاع في الغزو الثقافي، وفي المقابل التلقائية والإيجابية في الاتصال الثقافي، فمبدأ الحرية إذن هو المبدأ الذي يفرق بين الغزو الثقافي وبين الاتصال الثقافي، كما ينص القرآن الكريم لا إكراه في الدين، نقول لا إكراه في الثقافة.

٢ - خلق الاستعداد للإنفصال عن الجذور الثقافية والحضارية والوطنية بل والتنكر لها وإحتكارها في الغزو الثقافي ... وفي المقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة في الاتصال الثقافي ... مبدأ عدم التنكر من جانب الانتقاء من جانب آخر، المبدأ الثاني الذي به نفرق بين الغزو الثقافي وبين الاتصال الثقافي.

٣ - صياغة العقول في الغزو الثقافي، وفي المقابل الإضافة واستكمال البناء العقلي في الاتصال الثقافي[٧]

وتبرز أهمية الاتصال الثقافي في النقاط التالية:

- المساعدة على انتشار كافة الفنون والآداب واقتراح تلك العناصر أو تزاوجها والخروج بنسيج متجانس يؤدي إلى وحدة الحس الفكري الإنساني في الثقافات المتباينة.

- الوقوف على أحدث التطورات في مجال التكنولوجيا وتطويعها في خدمة الإنسان.

- المساعدة في عمليات النقل والاستعارة والانتقاء للسمات المتقابلة وما يتبع ذلك من تشجيع عوامل الإبداع والابتكار وانتقال وتداول الأفكار المبدعة المؤثرة في تقدم الشعوب.

- المساعدة في تطبيع العلاقات بين البلدان المختلفة، ومن ثم الشعوب والتعرف على العادات والتقاليد والأعراف المتباينة، والمساعدة في تأصيل الخصوصيات الثقافية في مقابل العموميات الثقافية، وبالتالي تعميق وتأصيل الشخصية القومية لكل شعب من الشعوب والسمات المحددة لتلك الشخصية وأهمية كل منهما من أجل الالتقاء الإنساني الأمثل.

ترجع العلاقة بين مصر ببلاد الإغريق إلى ما قبل مجئ الإسكندرية بعدة قرون وكما سبق القول ... وذلك عندما قام تجار مدينة ميليتوس الإغريقية بآسيا الصغرى بدور الوسطاء بين المملكة الليدية وشعوب البحر المتوسط ... وقد تمكنوا في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد من تأسيس محلة لهم في دلتا النيل، وهي عرفت فيما بعد باسم «نقراطيس» وهي قرية كوم جعيف الحالية بمحافظة البحيرة.

وجدير بالذكر أن ظروف مصر السياسية آنذاك هى التى ساعدت هؤلاء التجار الإغريق على دخولها، حيث أن أبسماتيك الذى أسس الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية لم يستطع أن يحرر البلاد من الاستعمار الأشورى إلا بفضل المرتزقة الإغريق وبناء عليه فقد تقرب للإغريق وبدأ يسمح للتجار الإغريق بالإقامة فى مصر واتبع خلفاؤه نفس السياسة وبهذا زاد تدفق الإغريقيين من التجار والمدنيين.

كما قدم الإغريق العون للمصريين عندما ثاروا على الفرس فقدموا لهم قوة بحرية كبيرة ... وانتظم الجند الإغريق فى صفوف الثوار المصريين كلما طلب إليهم ذلك، فى حين كانوا يرفضون الإشتراك فى صفوف القوات الفارسية التى كانت تحشد لإخماد الثورات المصرية ... وتحقق حلم التخلص من الاستعمار الفارسى على يد الإسكندر الأكبر ولذلك وجد الترحاب من جانب المصريين عند غزوه مصر ولم يعتبره المصريون عدواً أو مستعمراً جديداً لطبيعة العلاقات الوطيدة منذ القدم بين بلاد الإغريق ومصر من مختلف الجوانب الثقافية والاقتصادية[٨].

ثالثاً: الإسكندرية كعاصمة وأهم الموانى فى حوض البحر المتوسط:

يمكن إجمال أهمية الإسكندرية كعاصمة وميناء هام فى حوض البحر المتوسط فى النقاط التالية :

١ – كانت الإسكندرية تمثل أهم موانئ مصر وأكبر مدنها التجارية والصناعية ،أعظم المدن التى شيدها الإسكندر، ولقد رأت عينه الفاحصة فى قرية راكوتيس Rhacotis الفقيرة مكاناً صالحاً لمدينة عظيمة ... وقام

المهندس الرودسى دينوكراتيس Dinoceatis بوضع تصميم المدينة الجديدة وفقاً لأحدث القواعد فى فن تخطيط المدن ... فاختار لها شريطاً من الأرض الرملية يقع بين بحيرة مريوط والبحر وكانت تقع فى البحر قبالة هذ الشريط جزيرة فاروس Pharos التى وصلت بالأرض ... فنشأ عن ذلك ميناء واسع آمن فى الجانب الشرقى، وميناء أكبر منه وإن كان أقل أمناً فى الجانب الغربى ... ولقد انتظم القسم الغربى من المدينة قرية راكوتيس القديمة التى أصبحت الحى الوطنى الخاص بالمصريين ... وعلى بضعة أميال من الشرق كانت تقع مدينة كانوب Canopus (أبو قير) التى أصبحت مكاناً سئ السمعة يرتاده طلاب اللهو والعبث وكانت المدينة مستطيلة الشكل يشقها من الشرق إلى الغرب شارع فسيح مستقيم يسمى «شارع كانوب» تحف به الأعمدة والبواكى وتقطعه مجموعة أخرى من الشوارع الفسيحة(٩).

٢ – لقد حكم البطالمة وادى النيل خلال ثلاثة قرون قدر للإسكندرية أن تقوم فيها بدور كبير فى تاريخ العالم بأسره، وفى تاريخ مصر بصفة خاصة حيث كانت هى عاصمة مصر ومركز إشعاع حضارى ونقطة التقاء بين عالمين مختلفين أحدهما شرقى فى نظمه ومعتقداته وقيمه ونظرته للحياة بوجه عام، ويضم أغلب المناطق الآسيوية والإفريقية المتاخمة للقسم الشرقى من البحر المتوسط، والآخر غربى يختلف اختلافاً كبيراً فى كل هذه الأشياء وهو الجزر الأوروبية التى تضم مقدونية وبلاد اليونان إلي جانب المدن أو الدويلات اليونانية الواقعة على الشريط الساحلى الغربى لشبه جزيرة آسيا الصغرى ... وهذا لا يعنى أن هذه المناطق كانت منعدمة الاتصال ببعضها قبل إنشاء الإسكندرية فقد كان الاتصال بينهما فى التجارة والفن والعقيدة

والثقافة والحروب. وهذه الأنشطة اشترك فيها المصريون والفرس والفينيقيون واليونان ولكن كل هذا كان مجرد تسرب حضارى إنتقلت من خلاله بعض التفاصيل الحضارية من جهة إلى جهة دون أن يصل ذلك إلى درجة الالتقاء الواسع الذى يقرب بين القيم الحضارية إلى الحد الذى نهضت به الإسكندرية ... وبناء عليه فإن التاريخ للإسكندرية أكثر من مجرد تاريخ لمدينة حيث إنه فى الواقع تاريخ لعصر بأكمله وإزدهرت فيه حركة الاتصال الثقافى والحضارى بين الأمم وكان مسرحه المنطقة المتاخمة للقسم الشرقى من البحر المتوسط على شواطئ القارات الثلاث المطلة عليه ... وكان نقطة ابتدائه قيام إمبراطورية الإسكندر التى هيأت الظرف التاريخى اللازم للالتقاء الحضارى بين أرجاء هذه المنطقة(١٠).

٣ – لم يختر البطالمة منف أو طيبة عاصمة لملكهم رغم أنهم تشبهوا بالفراعنة وساروا على نمطهم فى كل ما يتعلق بنظام الحكم .. حيث إن تلك العواصم القديمة باتت لا تصلح للعصر الجديد فقد كانت قيمة منف تنحصر فى إنها تمكن الحكومة من السيطرة علي الوجهين البحرى والقبلى فى وقت كان الربط بينهما أمراً فى مقدمة المهام السياسية، أما قيمة منف فكانت مركز ثقل سياسى لحرص حكومات مصر فى التوسع نحو الجنوب لإبقاء الأماكن التى ينتشر فيها النفوذ لكهنة آمون تحت المراقبة المباشرة أو للسيطرة على مناطق النوبة وشمال السودان أو لمد نفوذها الاقتصادى إلى إقليم بونت (الصومال) وبناء عليه كان من الضرورى أن يتجه البطالمة نحو البحر المتوسط سواء فى برنامجهم التوسعى أو فى علاقاتهم السياسية والاقتصادية والحربية خصوصاً بعد زيادة موجة الصراعات والخصومات

واقتسام إمبراطورية الإسكندر بعد وفاته[١١].

٤ - ساعد موقع الإسكندرية البطالمة علي المنطقة الشرقية للبحر المتوسط كأنسب مركز للدعاية السياسية منذ بدء حكمهم إلى جميع أرجاء العالم الهلينستى الجديد الذى قام على أثر تقسيم إمبراطورية الإسكندر والذى كان دولة تشغل هذه المنطقة .. فكانوا يرسلون الوفود إلى جميع المناطق التى يريدون إقامة علاقات معها علي مستوى أو آخر، وهناك السفارات الأجنبية التى كانت تصل إلى الإسكندرية وبخاصة فى أعياد البطوليمايا التى كانت فى الحقيقة معرضاً لكل نواحى التفوق الحضارى فى مصر والتى أراد البطالمة بها مضارعة أعياد الباناثينيا فى أثينا إبان العصر الذهبى لبلاد اليونان ...

وكانت شوارع الإسكندرية تموج فى هذه الأعياد بالمبعوثين الرسميين ... وكانت هناك المكتبة ودار الحكمة (المتحف) أو الجامعة اللتان كانتا مركزاً للإشعاع الثقافى فى العالم الهلينستى ومركز التقاء للعلماء والمفكرين والأدباء الذين يفدون من مختلف أرجائه ... وكانت هناك عقيدة «سرابيس» التى صدرها البطالمة من الإسكندرية إلى شواطئ القسم الشرقى للبحر المتوسط[١٢]

رابعاً: مظاهر الحياة الاجتماعية وخصائصها خلال حكم البطالمة:

ويمكن إجمال أهم ملامح وخصائص الحياة الاجتماعية خلال حكم البطالمة لمصر وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجاليات القاطنة فى مدينة الإسكندرية وطبيعة الحقوق والواجبات والالتزامات بين الجاليات بعضها

البعض وتأثير الثقافة اليونانية فى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية فى النقاط التالية :

* إن الحكام فى العصر البطلمى كانوا من العنصر المقدونى اليونانى واعتمدوا فى بناء دولتهم على جذب واستجلاب أعداد كبيرة من بلادهم ... وبناء عليه كان المقدونيون والإغريق هم العنصر الغالب فى الجيش والإدارة ... إلخ[١٣]

* كان هدف البطالمة توطيد حكمهم وتدعيمه من جميع الجوانب وقد لمسنا تلك من استقدامهم للعلماء والفنانين وأصحاب الحرف ... إلخ وكان طبيعياً أن تكون الفرص متاحة ومشجعة للتدفق والهجرة إلى الإسكندرية التى كانت تمثل أغنى عاصمة لأغنى دولة من دول العالم الإغريقى.

* إزدياد عدد السكان نتيجة التيار الحديث للإسكندرية ويذهب المؤرخ ديودوروس Deodoros إلى تقدير الأحرار المتمتعين بالمواطنة السكندرية ٣٠٠ ألف مواطن مستنداً إلى قوائم السكان لعام ٦٠ ق.م وبناء عليه جمعت الإسكندرية خليطاً ضخماً من الجنسيات وهذا ما جعل المؤرخ والجغرافى سترابون يطلق عليها خزاناً عاماً .. أو على حد تعبير فليون السكندرى مجموعة من المدن داخل مدينة واحدة فقد كانت تضم الإغريق والإيطاليين والسوريين والليبيين والفينيقيين والأحباش والعرب والوافدين من بكترية وسكيتية واليهود والفرس .. والمتجول فى شوارعها يستمع إلي كافة اللغات الأفريقية والأسيوية إلى جانب اللهجات الإغريقية المختلفة[١٤].

* إن الوافدين إلى الإسكندرية كان كثير منهم ما يأتى فى مهام

اقتصادية وسياسية أو مناسبات واحتفالات البطالمة باعتبارهم بالإضافة إلى وفود السفارات من شواطئ القسم الشرقي للبحر المتوسط، أو من المصريين الريفيين الذين كانوا يأتون للإسكندرية لقضاء تجارة أو مصلحة من المصالح.. وبناء عليه امتازت الإسكندرية بزيادة العدد من مختلف الجنسيات، وهذا حالها الآن.

• لقد قسم سكان الإسكندرية بوجه عام إلى خمسة عناصر وتمثل بوجه عام خمس طبقات من ناحية الوضع الاجتماعي في المدينة وإن كانت التقسيمات الداخلية لبعض العناصر قد تنزل قليلاً أو كثيراً عن وضعهم الطبقي في المجتمع، فقد انقسم العنصر الإغريقي إلى ثلاثة عناصر ... المواطنين الكاملين أو السكندريين وكانوا من الأسر العريقة ولهم كافة الحقوق المواطنة الكاملة في الوظائف العليا وامتلاك الأراضي والتزوج من الإغريق، والإعفاء من أعمال السخرة وبعض الضرائب وكانوا ينقسمون إلى عدة قبائل التي تنقسم إلى أحياء اتخذت أسماءها انتساباً إلى اسم إله أو بطل إغريقي أو لقب ملك من ملوك البطالمة .. وطبقة أنصاف المواطنين لا يتمتعون بكافة حقوق المواطنة وكانوا من اليونانيين المقيمين بالإسكندرية ولكنهم لم يسجلوا بعد لسبب أو لآخر في قوائم الأحياء التي كانت تنقسم إليها القبائل .. وطبقة الإغريق الفقراء الذين توافدوا إلى الإسكندرية سعياً وراء الرزق ولم يكن لهم حقوق الطبقتين السابقتين ..

والعنصر الثاني هو المقدونيون وكانوا يمثلون طبقة ممتازة من ناحية حقوقهم أو وضعهم الاجتماعي حيث إن البيت الحاكم نفسه كان ينتمي إلى

العنصر المقدونى وكانت تضم الرتب العسكرية العليا .. وكان اليهود يمثلون العنصر الثالث وإن لم يتمتعوا بحقوق المواطنة كما هو الحال فى العنصر الإغريقى .. ثم عنصر الفرس الذين ينحدرون من أسر فارسية استوطنت مصر حين كانت خاضعة للحكم الفارسى قبل فتح الإسكندرية، وهناك فئة من هؤلاء الفرس ذات الكفاءات الخاصة التى جذبتها الفرص التى منحها البطالمة للعناصر المتميزة من الوافدين ولقد اصطبغ هؤلاء بصبغة الإغريق بسرعة .. ثم عنصر المصريين وكانوا عادة من أصحاب الحرف الصغيرة وكان منهم من يعمل فى صفوف بعض كتائب الجيش، وظلوا محافظين فى معظمهم على صبغتهم الوطنية بعيداً عن المؤثرات الإغريقية، وبرغم تعدادهم الكبير لم يتمتعوا بحقوق المواطنة .. وإن كان بعضهم مثل الكهنة القائمين على عبادة سرابيس قد وصلوا إلى مراكز اجتماعية متميزة وشغل بعضهم وظائف فى البلاط الملكى واصطبغوا بالحضارة الإغريقية(١٥).

وبناء عليه تأثرت معظم الجاليات بالصبغة اليونانية فيما عدا المصريين الذين بعدوا عن مظاهر الحياة الإغريقية خصوصاً بعد تميز كل العناصر والجاليات الأخرى عنهم في كل أمور الحياة حيث كان الاعتماد الأساسى للبطالمة على الإغريق فى تغطية كل نواحى الأنشطة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية .. وكان الإغريق يمثلون لحكام مصر سنداً عنصرياً يجابهون به سكان البلد الأصليين (المصريين).

* عندما شملت الإمبراطورية المصرية سوريا وبرقة ومناطق فى آسيا الصغرى وبحر إيجه حضرت إلى مصر أعداد أخرى غفيرة من هذه

الجنسيات المختلفة سعياً وراء العمل والرزق الوفير ومن أهم تلك الجنسيات اليهود والسوريون والفينيقيون والليبيون وجماعات من شعوب آسيا الصغرى ويذكر جوزيفوس أن عدد سكان مصر عدا أهل الإسكندرية هو سبعة ملايين ونصف مليون .. وهذه الإحصاءات دقيقة لأن الإدارة اليونانية و لرومانية كانت تسجل المواليد والوفيات بانتظام نظراً لارتباط ذلك بالضرائب التى كانت تجبى من الأفراد .. ويذكر ديودور الصقلى أن عدد سكان الإسكندرية من الأحرار فى العصر الأخير من الحكم البطلمى ٣٠٠ ألف شخص .. وغفل من هذا عدد النازحين من الريف والعبيد الغير مقيدين رسمياً وقد يبلغ تعدادهم ٢٠٠ ألف، أى عدد الإسكندرية ٥٠٠ ألف شخص تقريباً، وبناء عليه يكون سكان مصر فى العصرين اليونانى والرومانى هو ثمانية ملايين شخص .

* وكان يشاهد علي حد وصف «فيلون» على أرصفة المدينة وفي شوارعها خليط من الناس ينتمون إلى عناصر مختلفة ويتحدثون بلغات ولهجات متباينة .. ووجد بالإسكندرية بعض اليهود ولا سيما بعد اكتشاف الرياح الموسمية التى يسرت الملاحة من أفريقية إلى الهند مباشرة بدلاً من التزام الشاطئ .. وقد حدث قبل ذلك أن أرسل إمبراطور الهند البودى أسوكا Asoka رسله إلي بطليموس الثانى يدعونه إلى الهدى والصلاح وإن المرء ليتوق إلى معرفة أثر تعاليم جوتاما Guatama فى نفس بطليموس هذا الملك الذى عشق الدنيا وملاذها(١٦).

* حرص البطالمة علي تنظيم الأغريق والجماعات المتأغرقة من

الأجانب حسب أسس خاصة .. وقد تم ذلك عن طريق درج أعداد كبيرة من الإغريق في عداد مواطني المدن اليونانية في مصر أو عن طريق ضمهم في جماعات كل حسب موطنهم الأصلي تسمى بوليتيوما. أما سائر السكان من الإغريق والأجانب والأغلبية الساحقة من المصريين فكانوا ينظمون حرفهم وأعمالهم.

* اقتصرت العضوية في المدن اليونانية في مصر على الطبقات الممتازة من الإغريق .. ولم يقبل البطالمة على إنشاء مدن مستقلة فاقتصروا على المدن التي كانت موجودة قبل قيام دولتهم مثل نقراطيس شمال غرب الدلتا في نهاية القرن السابع ق.م والإسكندرية التي أنشأها الإسكندر وأصبحت عاصمة لمصر .. ولم ينشئ البطالمة سوى بطلمية في أعالي الصعيد .. وكان هدف البطالمة من نظام المدن هو محاولة حفظ جماعات من العنصر الإغريقي نقية دون أن تختلط بالأهالي من المصريين فتفقد بمرور الزمن وهذا عكس وجهة نظر الإسكندر الذي كان يعتبر كل مدينة ينشأها بمثابة بوتقة يختلط فيها الإغريق مع الأهالي الأصليين ويحدث تواصل واستقرار وتأثير وتأثر بين الأهالي.

أما خلفاء الإسكندر الأكبر فقد عزفوا عن هذه السياسة وجعلوا مواطني المدن اليونانية في مصر بمثابة فئات ممتازة من بين سائر السكان وسنوا عدة قوانين تحدد علاقتهم بالمصريين والأجانب وهي[١٧] :

* عدم التزاوج من المصريين حتى يبقى الدم الإغريقي نقياً في عروقهم، خصوصاً وأن المواطنة في المدن الكبيرة كانت قاصرة على

العناصر الممتازة من الإغريق.

* الإغريق الآخرون كانوا رعايا الملك مباشرة ولم يتمتعوا بحق المواطنة، وأوجد لهم نظام آخر يعوضهم عن حرمانهم من حياة المدينة السياسية وهو نظام البوليتوما وهي عبارة عن رابطة تضم جميع أبناء الوطن الواحد من بعض الفئات الإغريقية أو المتأغرقة فوجدت بوليتيوما للمقدونيين وأخرى لليهود وثالثة للسكرتيين ورابعة للبيتوتيين ... إلخ

* كانت البوليتيوما تعد هيئة مستقلة ذات نظام خاص يغلب عليه الطابع العسكري، ولها أيضاً أوجه من الأنشطة الاجتماعية والدينية وهي خاضعة للملك مباشرة، ويرجع أن السبب في إنشائها هو أن تضم جنود الجيش البطلمي في أثناء السلم حينما ينتشرون في الريف ويستقرون على مزارعهم ليسهل حصرهم واستدعاؤهم بسرعة عند الحاجة .. وبالرغم من أن كل بوليتيوما كانت في البداية قاصرة على جنس بعينه إلا أنها فقدت هذه الصفة بمرور الزمن، وأصبحت منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تضم أفراداً من عناصر أخرى أو جاليات أخرى[١٨].

* إن وجود اليهود بمصر يرجع إلى ما قبل العصر البطلمي، فقد أقام الفرس حامية من اليهود في جزيرة اليفنتين على حدود مصر الجنوبية، وكانوا يتكلمون اللغة الآرامية .. وبعد فتح الإسكندر مصر توافد اليهود في أعداد كبيرة استقرت في مواطن مختلفة حتى كونوا جالية لأنفسهم سكنوا الحي الرابع المسمى دلتا وسرعان ما تركوا اللغة الآرامية واتخذوا اللغة اليونانية بدلاً منها .. وخير دليل على ذلك هو ترجمة التوراة إلى اللغة

اليونانية التى تمت فى مصر فى العصر البطلمى وتسمى عادة بالترجمة السبعينية .. وكانت هذه الترجمة من الأهمية بمكان لأن كثير من اليهود وكانوا قد تأغرقوا تماماً وأصبحت اللغة اليونانية لغتهم .. وكانت المراسيم الدينية اليهودية تؤدى باللغة اليونانية .. وتدريجياً يفقد اليهود فى مصر أى صفة مميزة لهم عن الإغريق واتخذوا الزى اليونانى وتسموا بأسماء إغريقية وتحدثوا اللغة اليونانية .. وسمح لهم الملوك البطالمة بتكوين بوليتيوما لتنظيم شئونهم الخاصة وأقاموا أماكن العبادة ولهم محاكمهم الخاصة .. خصوصاً فى الأمور الدينية بينما الأمور التى تمس القضاء المدنى أو الجنائى كانت تأتى تحت طائلة قضاء الدولة.

* كان المصريون هم الأغلبية وعماد المجتمع وكما كانوا رعايا الفرعون أصبحوا رعايا الملك البطلمى، وكان تنظيمهم حسب حرفهم وأعمالهم كما كانوا فى العصر الفرعونى ويذهب (هيرودوت) إلى أن المصريين كانوا ينقسمون إلى طبقات حسب أعمالهم. الكهنة، الجند، رعاة البقر، رعاة الخنزير، التجار المفسرون، رجال القوارب، .. وقد أغفل هيرودوت طبقات أخرى كانت موجودة فى مصر الفرعونية كما كانت موجودة فى عصر البطالمة طبقة الفلاحين .. طبقة الصناع .. طبقة الموظفين الإداريين ..

ويتضح من دراسة العصر البطلمى أن أفراد كل مهنة أو عمل كانوا منظمين تنظيماً دقيقاً إلى الدرجة التى كان من السهل معها تحديد إمكانيات الدولة فى مجالات الأنشطة المختلفة[١٩].

* كان وضع المصريين في بداية الأمر فى مركز المغلوب على أمرهم حيث إن الوضع الممتاز والمتميز كان للإغريق فى كل المجالات والأنشطة، فكان اليونانى هو الرئيس والمصرى هو المرءوس بإستثناء طبقة الكهنة كما سبق القول .. وإدرك البطالمة خطورة وقوة الكهنة فحاولوا إضعافهم فسلبوا المعابد بعض ممتلكاتها وإمتيازاتها، إلا إنه بعد ضعف البطالمة سعى المصريون بصفة عامة والكهنة بصفة خاصة إلى استرداد حقوقهم وتحسين أحوالهم ومراكزهم حيث كان دورهم فى الجيش محدود للغاية خصوصاً فى الأسطول .. ولكن مالبث أن اعتمد بطليموس الرابع وجند منهم عشرين ألفاً كان لهم الفضل فى القضاء على الغزو السليوقى فى معركة فاصلة عند رفح عام ٢١٧ .وكان من نتيجة ذلك استرداد المصريين لثقتهم بالنفس وشعورهم بأنهم لا يقلون فى الكفاءة عن الإغريق وطالبوا بحقهم فى تولى جميع المناصب .. وبناء عليه شغلوا مناصب قيادية فى الجيش والقصر والإدارة، وزادت الثورات التى قاموا بها ضد الأسرة الحاكمة فى الإسكندرية وشغلت فترة طويلة من النصف الثانى من العصر البطلمى(٢٠).

* كانت اللغة الرسمية لسكان مصر البطلمية هى اللغة اليونانية وهى لغة الطبقة الحاكمة ... أما المصريون فقد استمروا يتحدثون اللغة المصرية القديمة، وانقسمت إلى شعبتين ... ما يمكن أن يسمى باللغة الفصيحة التى كان الكهنة يكتبونها بالحروف الهيروغلوفية ... واللغة العامية وكانت تكتب بالحروف الديموطيقية ... وهذه اللغة الأخيرة وحروفها دخلتها كثير من التأثيرات اليونانية ... وكانت جميع مراسلات الدولة باللغة اليونانية ... أما المراسيم الملكية والقوانين التى نشرها بين جميع السكان فكانت تنشر إما باللغات الثلاثة أو باليونانية والعامية الديموطيقية.

* ساعد على ازدياد استخدام اللغة اليونانية أنها لغة الإدارة وكل من يريد الترقى من تحت لواء البطالمة يجب أن يتقنها .. ولذلك تعلمها بعض المصريين الطموحين من سكان المدن واليهود .. واتخاذهم أسماء يونانية وساعد على هذا الاتجاه إزدياد الزواج بين اليونانيين والمصريين ،حيث إنه منذ منتصف القرن الثانى ق.م لم يعد الاسم اليونانى فى المصادر يدل على أن صاحبه عنصر يونانى فقد يكون صاحبه مصرياً أو سورياً أو يهودياً أو يونانياً أو من أبوين مختلفى الجنسية (٢١).

خامساً: مظاهر الحياة الثقافية وخصائصها خلال حكم البطالمة:

ولما كان المفهوم الأنثروبولوجى للثقافة واسعاً ويتضمن كافة العادات والتقاليد والعرف والفنون والتكنولوجيا والديانات، سنحاول أن نلقى الضوء على كثير من تلك الجوانب المختلفة حتى يتبين لنا كيف أن الإسكندرية كانت تمثل مركزاً ثقافياً وحضارياً بالغ الأهمية فى العالم القديم وذلك فى النقاط التالية :

١- فى مجال الثقافة

* استمدت الإسكندرية مركزها الثقافى من جامعتها ومكتبتها التى أثارت اهتمام العالم القديم كمركز للإشعاع الثقافى وبناء عليه بات التأريخ لأثرهما الحضارى محوراً هاماً لجهود الباحثين فى القرنين الأخيرين.

* لقد كان موقع أو مكان الجامعة أو المكتبة فى الحى الملكى بالإسكندرية حيث قصور البطالمة .. أو كما حدد على وجه التقريب على يد إيفاديستى ريشيه E.Breccia المنطقة الواقعة بين شوارع شريف

وسيزوستريس والنبى دانيال ... وتمت إقامتها فى الفترة الواقعة بين عامى ٢٨٨ ، ٢٨٠ ق.م[٢٢]

* إن ديمتر يوس Demetrius مؤسس الجامعة والمكتبة وأحد زعماء السياسة فى أثينا ولقد اضطر لمغادرة أثينا كلاجئ سياسى فى ٢٠٧ ق.م فاستقدمه بطليموس الأول وأكرمه وعهد إليه بمهمة إقامة الجامعة أو دار الحكمة كما كانوا يطلقون عليها لتكون مركزاً للبحث والدراسة.

* لقد كان القائمون على التدريس فى الجامعة يمثلون الصفوة من أهل العلم والفكر في جميع أنحاء العالم الهلينستى .. وكان يستجلب بطليموس ومن خلفه علي عرش مصر وبصفة خاصة فى الشطر الأول من العصر البطلمى أعضاء الجامعة من أهل الكفايات فى كل فن ومن كل مكان استطاعوا أن يمدوا إليه نفوذهم أو ينثروا فيه ذهبهم إلى الحد الذى فيه بلغ عدد المفكرين والعلماء مائة فى إحدى فترات العصر الذهبى لحكم البطالمة.

منهم هيروفيلوس Herophilos الجراح الذى كان أول من كون فكرة علمية واضحة عن الجهاز العصبى ولا يزال الطب الحديث يستخدم مصطلحاته .. وكذلك يوكليدس Eucleides الذى عرفه الحرب باسم إقليدس الرياضى الذى ألف كتاب العناصر وعالج فيه النظريات الهندسية التى كانت تدرس حتى عهد قريب وآخرون فى مجالات متعددة.[٢٣]

* كان يتجمع بالإسكندرية أشهر شعراء العصر من أمثال كاليماس وأبولونيوس الرودس وآخرون وقامت بينهم المعارك الأدبية والنقدية المشهورة بين القديم والجديد وبات من الضرورى لكل مثقف فى العالم أن يلم بتطور

الإنتاج الأدبى فى الإسكندرية، حتى أطلق على الأدب اليونانى بأسره فى هذه الحقبة اسم الأدب السكندرى، وذلك لشدة تأثير مدينة الإسكندرية على الإنتاج الأدبى فى العالم فى ذلك الوقت بما فى ذلك أدباء اللاتين فى روما الذين كانوا يحاكون نماذج الأدب اليونانى فى الإسكندرية.(٢٤)

* كانت طريقة البحث فى تلك الفترة عبارة عن مناقشات أو ندوات فى شتى مناحى العلم والفكر يشترك فيها مجموعات متعددة ويدل على جدية هذه المناقشات ما كان يدور فيها من دراسات لا يزال العلم الحديث ينظر إلى كثير من الإكبار والعرفان بالجميل، ولايزال قدر غير قليل من المعلومات التى وصلوا إليها يتخذ سمة الحقائق الثابتة التى بدأ منها العلم الحديث تطوره فى أكثر من ميدان. (٢٥)

وبناء عليه فإن نصيب الإسكندرية فى بناء الحضارة الإنسانية فى ذلك الوقت على الشعر والأدب، بل قامت بها حركة علمية نشطة خدمت بعلوم الرياضة والهندسة والفلك والطبيعة كما سبق القول خطوات هائلة كانت تمثل الأسس للحركة العلمية العربية فى العصور الوسطى والنهضة العلمية الأوربية الحديثة، وخير دليل على ذلك أن إقليدس وأرشميدس وآخرون كانوا من علماء الإسكندرية فى العصر البطلمى. (٢٦)

* طغت شهرة مكتبة الإسكندرية على الجامعة تلك المكتبة التى كانت موجودة فى الحى الملكى وهى المكتبة الرئيسية، وهناك المكتبة الملحقة بمعبد السرابيوم فى الحى الوطنى بالإسكندرية (كوم الشقافة الحالى).

* حازت مكتبة الإسكندرية شهرة واسعة فى العالم القديم برغم وجود

مكتبات سبقتها من الناحية الزمنية وكانت تحتوى على مجموعات متنوعة من الكتب مثل المكتبة الملحقة بأكاديمية الفنون ... ومكتبة معهد اللوقيون حيث كان أرسطو يلقى محاضراته ويعقد حلقاته الدراسية، خصوصاً وأن جمع الكتب فى بلد مثل أثينا فى القرن الرابع كانت لازمة من لوازم الرجل المثقف وهذا ما تؤكده الوثائق التاريخية ... ويرجع شهرة مكتبة الإسكندرية إلى أنها كانت أول مكتبة عامة تملكها الدولة فى العالم القديم وهذا كان غير موجود فى أثينا التى أمسكت بزمام الثقافة والفكر ردحاً غير قليل من الزمن فلم يكن لها مكتبة عامة.

* إن مكتبة الإسكندرية منشأة عامة لا يملك التصرف فيها شخص بعينه وتنفق عليها الدولة، إلا أنها كانت مقصورة على طبقة المثقفين وليس مفتوحة أمام العامة ... ومع ذلك فهى كانت تعتبر خطوة هامة نحو قيام الدولة على نشر الثقافة والتثقيف.

* إن مكتبة الإسكندرية قد ضمت عدداً كبيراً من المجلدات بلغ ما يقرب من ١٢٨ ألف مجلد وهذا أكثر مما تضمه مكتبة جامعة الإسكندرية الحالية بما يزيد عن ألف مجلد. (٣٧)

* حرص البطالمة بكل الطرق على تزويد هذه المكتبة بالنسخ الأصلية من المؤلفات الموجودة فى عصرهم، أو بالترجمات اليونانية لما كتب بغير هذه اللغة ... فنجد فيلادلفوس يطلب من مانيثون الكاهن المصرى أن يضع تاريخاً لمصر باللغة اليونانية، ويكلف العلماء فى أثينا وروديس بإرسال مؤلفات أشهر الكتاب إلى الإسكندرية ... وتم ترجمة التوراة من العبرية إلى

اليونانية فى عهد البطالمة ... وإرسال ثالث حكام البيت البطلمى إلى أثينا يطلب على سبيل الإعارة المخطوطات الأصلية لمسرحيات إيخولوس ويوريبيدس حتى ينسخها أدباء الإسكندرية ... وهذا يدل على أن الاتصال الثقافى بين أثينا والإسكندرية كان نشطاً فى تلك الفترة ... وساعد على أداء المكتبة لدورها فى إثراء حركة الفكر والوقوف على ثقافات الشعوب أمناء المكتبة الذين تعدوا حدود العمل الإدارى الروتينى فكانوا سلسلة من العلماء برز كل منهم فى ميدانه كأروع ما يكون ... حيث كان من مهام أمناء المكتبة تعليم أولاد الملك ... وكان منهم زينودوتس أول من نشر ملحمتى الإلياذة والأوديسة على أساس علمى من النقد والتحليل، وأبولونيوس السكندرى شاعر الملاحم وأراتسفين العالم الجغرافى ... إلخ.

* قامت مكتبة الإسكندرية بمهمة نسخ المخطوطات التى لديها وكانت تبيعها للأفراد فى مصر وتصدرها إلى مراكز الثقافة اليونانية المختلفة وكذلك إلى روما فيما بعد.

* تعرضت الجامعة والمكتبة وعلماؤها للطغيان وكانت أول كارثة على يد بطليموس الثامن الذى ثار عليه الشعب السكندرى لطرقه التعسفية فصب جم غضبه على المدينة وكذلك الجامعة والمكتبة وخير دليل تعيينه مشرفا عاما من أعوانه من غير ذوى الاختصاص فى شئون العلم ... إندثار المكتبة بعد العهد البطلمى نتيجة الحريق الذى يختلف نسبته للرومان أو للعرب أو سبب عوامل الاستهلاك العادى كما يذكر وسترمان (وهذا غير صحيح) فالحريق هو الذى أودى بالمكتبة.

* إن الإسكندرية كانت فى عهد البطالمة مركزاً ثقافياً إغريقياً فى صبغته وإدارته وإن كان علمياً فى حدود العالم المتحضر المعروف، حينذاك فى توجيهه وطبيعته، فقد عكس التقاء الحضارات الآتية من الشرق والغرب بعد انتزاعاها مركز القيادة الثقافية فى العالم اليونانى من أثينا. (٢٠٨)

٢) التأثير والتأثر فى مجال الفنون والآداب:

* إن الإسكندرية قد شهدت نهضة فنية رائعة ... فقد أدت للفن خدمات جليلة وإن الأدب السكندرى قد تخطى حدود موطنه ليترك أثره فى فطاحل أدباء اللاتين أمثال فرجيل وهوراس، كما أن الفن السكندرى قد تغلغل ببعض أبوابه ونفذ أثره عميقاً فى غيره من الفنون اللاحقة.

* إن معالم المدرسة السكندرية الفنية كانت ترتكز على البيئة التى خلقته وهى يونانية ... فلم تكن الإسكندرية فى العصر اليونانى الرومانى كما هى الآن جزء من مصر بل كانت على حد تعبير اللاتين «الإسكندرية المجاورة لمصر» فلم تكن حضارتها أو نظمها فى ذلك العصر جزءاً مماثلاً لحضارة بقية بلدان مصر ولكن كانت على العكس أقرب ما تكون لحضارة دول البحر المتوسط والممالك الهيلينستية الأخرى عنها إلى حضارة مصر نفسها حتى أن ملوك البطالمة سلكوا فى نظراتهم للمدينة مسلكاً يخالف نظراتهم إلى بقية بلدان القطر (مصر) فكانت معابدهم ومبانيهم بالإسكندرية على الطراز اليونانى بينما أسبغوا على مسلكهم فى بقية أجزاء القطر صبغة الفراعنة.

وبناء عليه فقد ظهرت صورهم خارج الإسكندرية تحمل الطابع

الفرعونى، كما نجد ذلك من خلال صورة بطليموس الثالث وزوجته المنحوتة على واجهة معبد الكرنك، وكذلك معابدهم في إدفو وكوم أمبو ودندرة وغيرها من بلدان القطر قد بنيت على نمط ذلك الطراز المصرى القديم.

ولقد حمل الفن فى الإسكندرية طابعه اليونانى وإن كان قد احتضن فى بعض إنتاجه الكبير بعض عناصر الفن الفرعونى أو فن البلاد الأصلى، ويرجع ذلك للأسباب الآتية :

* تدفق واستمالة وجذب ملوك البطالمة للعلماء والأدباء والفنانين واليونانيين من مختلف أرجاء العالم إلى الإسكندرية، فاستعانوا بفنانى مقاطعة أتيكا لما كان بين هذه المقاطعة ومصر من صلات قوية وتضامن أمام تعديات العدو المشترك. وقد جاء هؤلاء الفنانون مزودين بما تعلموه فى بلادهم على يد أساتذة الفن فى بلاد اليونان فى القرن الرابع ق.م. أمثال سكوپاس وليسبوس وابليس وغيرهم. (٢٨)

* تشجيع الوافدين إلى مصر على البقاء فى البلاد وتيسير سبل العيش والكسب وبصفة خاصة الفنانين والعلماء خصوصاً من أبناء دار الحكمة ومكتبة الإسكندرية اللتين دعم من مركزه ما إنهال على مصر عامة والإسكندرية خاصة من غنائم وخيرات نتيجة للفتوح العديدة فى آسيا وأفريقيا وحوض البحر المتوسط، وما درته التجارة والصناعة على مصر من نعم وخيرات خصوصاً بعد إقامة منارة الإسكندرية الشهيرة وإزدهرت المدينة بما قام بين أرجائها من معابد ومبان شامخة، وما ازدانت به ميادينها ومكتبتها من تحف وآثار.

* إن الفن قد وجد فى الإسكندرية أرضاً خصبة لما ناله من تشجيع وتقدير السكان حيث كان معظمهم من جنود الغزو الذين حضروا فى عهد الإسكندر أو اليونانيين النازحين من أرجاء العالم اليونانى أو المصريين أهل البلاد الأصليين ... ومن المعروف تاريخياً أن المصرى واليونانى يعشقون الفن منذ أقدم العصور .. ويؤكد ذلك ما جاء فى كتابات سفراء الإسكندرية إبان حكم البطالمة عن تقدير السكان للقيم الفنية والآثار والقطع الفنية .. كما حدث فى وصف ليونيداس لتحفة الرسام إبليس أو قصيدة هيروناداس الرابعة التى يصف فيها التماثيل واللوحات الموجودة فى محراب الإله اسكليبوس ... إلخ. (٢٩)

* ولقد وضحت اتجاهات ومعالم مدرسة الإسكندرية الفنية بتفردها عن غيرها من مدارس الفن المختلفة الشهيرة فى العصر الهيلنستى مثل مدرسة برجامة أو مدرسة أنطاكية أو مدرسة رودس ... فظهرت شخصيتها فى كل النواحى التى تتحكم فى العمل الفنى سواء فى المادة المستعملة التى يصنع فيها العمل الفنى أو الطريقة المستخدمة لتنفيذ العمل الفنى أو فى الموضوعات التى عبر عنها هذا الفن ... ولذلك نجد أن ندرة وجود الرخام أو البرونز أو الحجر الجيري في مصر والتي كانت تصنع منهم التماثيل في اليونان لوفرة هذه المواد هناك، وكان استيراده مكلفا للغاية وتحوطه صعوبات النقل ... إلخ .فاتجه فنانو الإسكندرية إلي عمل التماثيل صغيرة الحجم من الرخام في الأحوال النادرة كعمل تماثيل الآلهه والأباطرة الرومان ولكنهم استعاضوا عن الرخام بالمرمر المصري لبياض لونه ولوجود شبه

كبير بينه وبين الرخام كما يري في المقبرة التى ترجع لأوائل العصر البطلمي الموجودة حاليا بمقابر اللاتين بالشاطبي ..واستخدم الحجر الجيري للغرض نفسه في التماثيل الكبيرة الموجودة بمتحف الإسكندرية ... كما لجا الفنانون لاستعمال المصيص في صناعة بعض التماثيل الذي كان يستخدمه فنانو الفراعنة في عمل التماثيل ...ولجأ فنانو الإسكندرية في كثير من الأحيان لاستخدام الرخام في بعض الأجزاء وتكملة التمثال بالمصيص مستغلين مرونته وليونته وسهولة صناعته وبخاصة عند تشكيل شعر الرأس واللحية وكان المصيص يمزج أحيانا بمسحوق الرخام المتبقي من عمليات النحت فيكسب الشعر واللحية لمعانا عند صقله، وكانت صناعة هذه الأجزاء من الرأس من هذا المزيج تجنبهم ما قد يسببه استعمال الأزميل في الرخام من كسر التحفة الفنية أو تشويه التمثال ..وكان يتوفر المصيص في محاجر المكس ويستخدم علي نطاق واسع في عمل التماثيل أو تغطية لتماثيل الخشبية أو الحجرية الأخرى أو جدران المباني ليسهل طلاؤها باللون ويساعد علي حفظ اللون لمدة أطول ويعطيه صلابة وقوة لمقاومة عوامل التعرية .

* كما استخدم فنانو الإسكندرية المصيص فى عمل نسخ عن الأصل للوجوه البشرية وعمل قوالب من المصيص لنماذج التماثيل ونسخ منها من نفس المادة أو من التراكوتا (الطين المحروق) أسوة بفنانى الفراعنة فى عمل قوالب ونسخ التماثيل وأقنعة الرأس التى كانت توضع على المومياء ... واستخدام المصيص كذلك فى عمل التماثيل الصغيرة الكاريكاتور وعمل

الزخارف البارزة على الأوانى الهلينستية والزخارف التى كانت تحلى بها المرايا والأوانى الفنية والمعدنية ... وكانت الإسكندرية هى مركز إنتاجها الوحيد ومصدر تصديرها الهام فى ذلك العصر. (٢١)

* لقد كانت للمنافسة الشديدة بين ملوك البطالمة أثر بالغ الأهمية فى تشجيع إنتاج التماثيل الصغيرة والسلع المزخرفة بكميات كبيرة لاستخدام الناس بكثرة لها فى تزيين المنازل ولتأنس موتاهم فى مقابرهم، ولتزيين المكتبات والأماكن العامة ... ولهذا نشطت صناعة هذه المقتنيات الفنية لتلبية الطلب المتزايد عليها.

* تأثير الفن السكندرى باستعمال الألوان اللازمة لفن النحت الغرعونى مهما كانت المادة المستخدمة، فاستخدموا الألوان حتى على الرخام كما ترى آثارها فى رأس الطفلة الموجودة بمتحف كلية الآداب بالإسكندرية، وكما ترى فى تماثيل مجموعة التباجرا لصغر حجم التماثيل التى تعد من خصائص الفن السكندرى، واستخدام المصيص المستخدم فى الفن المصرى القديم.

* يظهر أثر المدرسة الأتيكية فى الوقفة أو فى صياغة الرداء ... إلخ، أو أن هذا الطراز ابتكروه فنانو الإسكندرية ثم انتشر منها إلى غيرها من مراكز الفن الهلينيستى.

* استخدم الفنانون السكندريون المواد الصلبة المترفرة فى مصر كما يستخدمها الفراعنة فى نحت تماثيلهم وإقامة مبانيهم الضخمة كالبازلت وحجر الجرانيت بألوانه المختلفة ويظهر ذلك فى نحت مثالى الإسكندرية

لبعض التماثيل لملوك البطالمة وملكاتهم من البازلت ... مثل تمثال بطليموس الثالث وتمثال الملكة أرسينوى زوجة بطليموس الثانى فى متحف لفاتيكان بروما. (٣٢)

* لقد خلق العصر البطلمى آثار مختلفة تدل على حضارة عظيمة وعت وعظمت وشجعت الإبداع فى مختلف الآداب والفنون مثل منارة الإسكندرية التى كانت تعتبر ثالث عجائب العالم القديم ... السرابيوم (معبد سرابيس)، وكان يهدف البطالمة من وراء إقامة هذا المعبد أن يوجد رابطة بين الديانة اليونانية المصرية وكون تبعاً لذلك لجنة من الكاهن المصرى مانثون والكاهن اليونانى تيموثيوس واستقر الرأى على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوث يتألف من سرابيس وزوجته وابنهما حربوقراط. وشيد للعبادة الجديدة معبد سرابيوم بالحى الوطنى (منطقة عمود السوارى) ... القيصريون (معبد قيصر) الذى شيدته (كليوباترا) آخر ملوك البطالمة باسم عشيقها مارك أنطونى ... ومقابر الإسكندرية التى أقيمت فى أطراف المدينة شرقاً (الشاطبى، الإبراهيمية، مصطفى كامل) وغرباً (الأنفوشى، كوم الشقافة، الورديان) وهو امتداد طبيعى للمدينة التى كانت بحكم موقعها محصورة بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط ... وكان الأجانب وبصفة خاصة اليونانيين يفضلون أن يدفن موتاهم فى الجبانة الشرقية، أما المصريون فكانوا يفضلون الجبانة الغربية لقربها من الحى الوطنى الذى يسكنون فيه والمقابر الملكية التى يطلق عليها السيما.

(٢) التأثير والتأثر في الأمور الدينية:

ونلمس في تأثير الثقافة اليونانية على مظاهر الحياة الدينية في النقاط التالية :

* إن الحياة الدينية في مصر كانت متميزة بتعدد المعتقدات فقد وجدت في مصر بالإضافة إلى سكانها الأصليين والإغريق جاليات من جنسيات أخرى مثل الفرس والعرب واليهود وكان طبيعياً أن تتعدد الديانات.

* احتفاظ المصريين بمعتقداتهم الدينية المتوارثة وظلوا يعبدون آلهتهم القديمة مثل آمون رع وبتاح وإيزيس وأوزوريس ... وقد حرص البطالمة في محاولة لاحتواء المصريين واسترضائهم والتقرب من آلهتهم وبناء المعابد وتقديم القرابين بالرغم من سعيهم للحد من سلطات كهنة هذه الآلهة.

* أدى خوف البطالمة من سلطة الكهنة إلى انتزاع إدارة أموال المعابد من أيديهم وتفتيت الهيكل الإداري للنظام الكهنوتي نفسه.

* احتفاظ الإغريق الذين سكنوا بمصر بمعتقداتهم الدينية وظلوا يعبدون آلهتهم الخاصة التي نقلوها معهم من موطنهم الأصلي وأقاموا لها المعابد في المدن التي كثروا بها ... ولقد ساعد الإغريق في المحافظة علي معتقداتهم الدينية أنهم عاشوا في مدن لها نظامها الخاص ... أما أولئك الذين لم يستوطنوا هذه المدن فقد تكتلوا في تجمعات دينية واجتماعية قاصرة عليهم.

* عدم استطاعة الإغريق خصوصاً الذين عاشوا منهم خارج المدن ذات الطابع اليوناني في أن يظلوا لفترة طويلة بعيدين عن المعتقدات المصرية فتأثروا بها وخير دليل علي ذلك إطلاق أسماء إغريقية على آلهة مصرية كتسمية الإله آمون المصرى بإسم الإله زيوس الإغريقى.

أوجد البطالمة ديانة جديدة في محاولة للتقريب بين المصريين والإغريق تقوم على فكرة الثالوث الذى قدم فى شكل إغريقى وللمصريين فى شكل مصرى .. أى فى شكل إنسانى للإغريق وفى شكل حيوانى للمصريين.

* لجوء البطالمة إلى تأليه أنفسهم وفرض عبادة ملوك البطالمة فى محاولة منهم لإحكام سيطرتهم على إمبراطورية تتكون من عناصر متباينة قد لا يجمعها سوى رباط دينى من هذا النوع أى عبادة الملك رمز وحدة الدولة .. وهذا التاليه كان من الممكن أن يكون مقبولاً لدى المصريين فقد إعتادوا على عبادة ملوكهم من الفراعنة بوصفهم أنصاف آلهة أو ممثلين للآلهة علي الأرض[٢٣].

سادساً: تأثير الثقافة اليونانية فى مظاهر الحياة الاقتصادية بالإسكندرية:

جدير بالذكر أن أهمية الإسكندرية من الناحية الاقتصادية لم تقتصر على كونها مجرد ملتقى للطرق التجارية فحسب، إلا إنها كانت خير مكان يستطيع منه البطالمة أن يدخلوا هذه الطرق فى دائرة نفوذهم، وما يؤكد ذلك توسعاتهم فى حوض البحر المتوسط، ولهذا كانت الإسكندرية ثغرهم الأول وعاصمة ملكهم ... ولهذا أدخلوا فى البحر فى ملكهم قبرص وقورينية الغنية بغلالها وجوف سورية وفينيقية ذات الغابات الواسعة وكارية ذات التجارة الواسعة ... إلخ .

(١) نظام الأراضى:

لقد كانت سياسة البطالمة فى نظام الأراضى يوجهها عاملان هما :

* العمل على بناء دولة قوية اقتصادياً تحت حكمهم الملكى المطلق.

* إقامة عدد كبير من الإغريق الذين حضروا إلى مصر وكانوا العنصر الأساسى فى بناء جيشهم وإدارتهم للبلاد ...

وبناء عليه نفذت هذه السياسة على نحو يتلاءم وظروف مصر وتقاليدهم وتظهر الوثائق أن هذه السياسة قد تم تطبيقها منذ منتصف القرن الثالث ق.م وإن أراضى مصر كانت تنقسم إلى الأنواع التالية [٣٤].

أ- أراضى الملك:

ولقد كانت الأراضى الزراعية أهم فى الضيعة الكبيرة نظراً لخصوبتها العالية نتيجة تجدد تربتها كل عام بالغرين الذى يتخلف فوقها من فيضان النيل ... وكان الملك من الناحية النظرية هو المالك الوحيد لهذه الأرض .. وقد كانت هناك جزء من أجود هذه الأراضى تقع تحت إشرافه الفعلى ويطلق عليها الأراضى الملكية التى تؤجر لفلاحين يعرفون باسم «مزارعى الأراضى الملكية» وكانت عقود الإيجار اختيارية، لكن بعدما تعسر العثور على المستأجرين لجأ إلى الإكراه فى بعض الأحيان، وكان مزارعو الملك رجالاً أحراراً لا عبيداً للأرض، غير أن حريتهم هذه كانت تخضع لبعض القيود مثل عدم استطاعتهم ترك أراضيهم فى خلال موسم العمل الزراعى، ونقلهم إلى أماكن أخرى لاستصلاح أراضٍ جديدة .. وكان من

حق الدولة أن تلغى عقود الإيجار فى أى وقت تشاء وإن تنقل الأراضى إلى مستأجر آخر يقدم عرضاً أعلى .. وكان المقابل لذلك هو تمتع المستأجرين ببعض الأمتيازات وبقسط معين من الرعاية الحكومية [٣٥].

وبالرغم من أن الأراضى نظرياً كانت ملكاً للملك إلا إنه لم يستحوذ عليها بمفرده، حيث نجد صور للملكية الخاصة فى أيام البطالمة الأولى ثم ازدادت وضوحاً فى أواخر عهد البطالمة.

ولقد كانت الأراضى التى لا تخضع لرقابة الملك وإدارته المباشرة « Apheseige'en» أى الأراضى التى يتخلى عن إدارتها لغيره ومن هذا النوع ضياع المعابد حيث كانت تستغل لصالح المعابد وتكون قسماً خاصاً من الأراضى يطلق عليها «الأراضى المقدسة».

ج-الأقطاعات العسكرية:

كانت هناك أراض أخرى تمنح فى صورة «إقطاعات» للجنود المقيمين فى مصر الذين عرفوا باسم أرباب الإقطاعات ويفضل هذا النظام حقق البطالمة هدفين يتمثلان فى إنهم شرطوا للحصول على الإقطاعات إن ينتظم صاحبها فى سلك الخدمة العسكرية وبذلك ضمنوا لأنفسهم مدداً من الجند المدربين الذين إرتبطت مصالحهم بالبلاد ومن ثم يقل احتمال انتقالهم للعمل فى خدمة سيد آخر كما يفعل مرتزقة الأسراق الحرة ... كما ضمنوا من ناحية أخرى ازدياد رقعة المساحات المنزرعة ازدياداً كبيراً ... كما أنهم كثيراً ما منحوا إقطاعيات فى أراضٍ غير جيدة واشترطوا على أربابها استصلاحها .. وكانت هذه الإقطاعيات تمنح مدى الحياة فقط، ولكن إزاء

احتياج الملك لمدد لا ينقطع من الجند المقيمين تحت إمرته في البلاد، جرت العادة على أن يؤول الإقطاع إلى أكثر الأبناء عقب وفاة الأب، بل نجد إقطاعيات ممنوحة بصفة أبدية .. وبناء عليه أصبحت الإقطاعات مع مرور الوقت وراثية واكتسبت مظهر الإمتلاك الخاص إلا إنها من الناحية النظرية ملكاً للملك ولكنهم كانوا يتحايلون للتصرف فيها.

د- إقطاعات الموظفين:

وتتمثل في الضياع الكبيرة التي منحت لكبار الموظفين والمقربين للملك، وقد خضعت هي الأخرى لشرط استصلاح الأجزاء المهجورة منها، ومثل هذه الضياع كانت تمنح لصاحبها مدى حياته فقط ثم يستردها التاج عقب وفاته، وكان يفرض في أغلب الأحوال على أصحاب المنازل القائمة حول الإقطاعات إيواء الجند في منازلهم ..

هـ- أراضي الملكية الشخصية:

وكانت هناك «أراضي الامتلاك الخاص» التي تتألف عادة من البساتين ومزارع الخضروات والنخيل والكروم وكانت هذه تزرع كلها في أراضٍ تتطلب قسطاً من الاستصلاح، ولكنها لا تلائم زراعة القمح والغلال، وكانت تمنح لأصحابها بموجب عقود إيجار طويلة الأجل أو عقود وراثية .. وبالرغم من أن القانون كان يسمح بانتقال ملكية هذه الأراضي من شخص إلى آخر، ولا يرجح أن أصحابها قد أمتلكوها امتلاكاً فعلياً في أية فترة خلال عهد البطالمة .. وبناء عليه فإن الأراضي الخاصة وعلى حد تعبير الدكتور تارت لم تكن أملاكاً حرة بالمعنى المعروف، إنما كانت تستغل

استغلالاً حراً [٣٦].

ويعد هذا الفرض لنظام الأراضى نجد من الأهمية أن نلقى الضوء على الأنشطة الإنتاجية المختلفة مثلاً كما يلى :

(٢)الزراعة:

جدير بالذكر أن البطالمة قد أضافوا مساحات للأرض المنزرعة فى مصر كما انتعشت صناعات الذهب والفضة والبرونز فى الإسكندرية وبرغم احتكار الملك البطلمى لبعض الصناعات إلا أن المصانع الحرة انتشرت، كما انتشرت المصانع الأخرى التابعة للمعابد وكبار الملاك.

* عدم اعتماد الصناعة فى مصر كما فى اليونان على العبيد بشكل أساسى وذلك بسبب كثافة السكان فى مصر [٤١].

التجارة:

لقد بذل البطالمة جهداً نشيطاً فى تشجيع التجارة الخارجية، حيث إن مصر برغم ثرائها الزراعى إلا إنها كانت فقيرة فى كثير من المنتجات، واعتمد على زيادة الواردات فى السلع التى يحتاجها السوق المصرى كالأخشاب والمعادن والنبيذ وزيت الزيتون والسمك المملح ومختلف أنواع الفاكهة والجبن والعبيد والخيول .. وكانت أهم صادرات مصر القمح حيث إنها كانت أكبر منتج للغلال فى شرقى البحر الأبيض المتوسط، والبردى التى انفردت بتصديره إلى مختلف أرجاء العالم القديم، والكتان والدقيق والزجاج المتعدد الألوان الذى اشتهرت به الإسكندرية، والمرمر والأحجار

الكريمة المختلفة.

كما أن مصر كانت مركزاً لتجارة عابرة نشيطة .. فقد كان يأتى من الصومال وشرق إفريقية وبلاد العرب والهند الذهب والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والتوابل والأصباغ وبعض أنواع الأخشاب النادرة والقطن والحرير .. وكانت هذه البضائع تنقل براً من موانى البحر الأحمر عبر الطرق الصحراوية إلى قفط Coptus على النيل .. وتيسيراً للنقل الداخلى فقد عمم البطالمة استخدام الجمل فى مصر .. وكانت هذه السلع فى بعض الأحيان تصدر من مصر إلى الخارج عقب وصولها، وفى أحيان أخرى تتناولها أيدى الصناع المصريين المهرة بالصقل ثم تستهلك محلياً أو يعاد تصديرها (٤٢).

العملة:

وضع البطالمة نظاماً اقتصاديا نقدياً متكاملاً فى مصر بعد أن كان أساس التعامل هو المقايضة .. ولذلك سك بطليموس الأول عملة ذهبية وفضية وبرونزية .. وأدخل على هذه العملات تعديلات كثيرة فيما بعد .. كما أن النسب بين العملة الذهبية والفضية ثم بين الفضية والبرونزية كانت تتغير من وقت لآخر، وأنشئت تبعاً لذلك المصارف فى أنحاء البلاد وتدل الوثائق على وجود نظام مصرفى متكامل .. وهذا لم يلغ النظام الإقتصادى القديم نهائياً حيث إن إيجارات الأراضى الملكية وبعض المرتبات كانت تدفع عيناً كما لم تختف المقايضة من الحياة التجارية وقد كانت المخازن الحكومية التى تجمع فيها الغلال تعتبر بمثابة مصارف للحسابات الفردية شأنها فى ذلك شأن المصارف المالية حيث كان تدفع الضرائب النقدية ... وعثر بين الوثائق

على أوراق يمكن أن تقارن بالصكوك (الشيكات) المعروفة فى وقتنا الحاضر.

الإحتكار:

ولقد كان هناك نظام احتكار حكومى واسع المدى، اقتضت سياسة البطالمة العملية الواقعية البحتة تنويعه بحيث تتفق فى حالاته المختلفة مع احتياجات الدولة المتباينة .. وقد كانت الأعمال المصرفية من بين هذه الاحتكارات الحكومية .. ولذلك كانت توجد مصارف ملكية تقوم بالأعمال الفردية والحكومية على السواء، وكان يوجد إلى جوارها مصارف أهلية تؤجرها الحكومة للأفراد (٤٣).

وتدل الوثائق على أن هناك احتكار الزيت حيث إن مصر كانت تزرع من قديم الزمن النباتات الزيتية مثل السمسم والخروع وبذر الكتان والقرطم والحنظل، ولقد فرضت رقابة صارمة أيام البطالمة على زراعة هذه النباتات، حيث حددت حكومة البطالمة مساحة الأراضى التى تزرع بها فى كل أقليم وراقبت زراعتها وحصادها مراقبة دقيقة .. وكانت الحكومة هى التى تمد الزراع بالبذور، ثم يحصر المحصول حصراً دقيقاً ويقدم ربعه ضريبة بينما يقوم الزراع بتسليم باقى المحصول للمتعهدين بأسعار محددة ... وكان الزيت يستخرج من مصانع خاضعة للرقابة الحكومية، ويعمل بها عمال لا يسمح لهم بمغادرة أماكن إقامتهم طول موسم عصر الزيوت بالرغم من إنهم كانوا أحراراً لا عبيداً وقد حرم استعمال المعاصر الخاصة التى ترجع إلى عصر ما قبل البطالمة باستثناء معاصر المعابد التى سمح لها باستخراج

الزيت اللازم لها في خلال شهرين فقط من العام ثم تغلق بعد ذلك بقية السنة، مثلما كانت تغلق المعاصر الملكية خلال فترة التوقف عن العمل ... ولقد كان حق بيع الزيت يمنح بطريق الالتزام لتجار الجملة وتجار التجزئة على السواء، ويجدر أن يبيعوه بالسعر الذى تحدده الحكومة، وكان الملك يجنى من هذه العملية ربحاً طائلاً للغاية .. وقد فرضت على استيراد زيت الزيتون ضريبة بلغت ٥٠٪.

وكان هناك أيضاً احتكار المنسوجات سواء أكانت من الكتان أم من الصوف أم من التيل .. وقد سمح للمعابد بالاستمرار فى صناعة منسوجاتها الكتانية الدقيقة التى اشتهرت بها وذلك لاستخدامها فى المعابد ذاتها (فقد كان محرماً على الكهنة لبس الصوف) إلا إنها كانت تسلم للملك كمية معينة من إنتاجها للتصدير، كذلك احتكر البطالمة صناعة الملح والصودا والجعة شراب المصريين القومى، وإن سمحوا بعمل هذه الأخيرة فى المنازل (٤٤).

الضرائب:

وكان من الطبيعى نتيجة تلك الاحتكارات المتنوعة ... وإجارات الأراضى الملكية .. والضرائب المفروضة على أراضى الإقطاعات وغيرها التى تخلى الملك عن إداراتها لغيره ضريبة على الميراث بالنسبة للضياع، وعلى التراخيص التى تمنح لمزاولة الحرف المختلفة، وعلى المبيعات وكثير من السلع التى يتناولها الناس، وعلى العقارات ... إلخ، أن حصل البطالمة على دخل هائل سواء أكانت عينية أم نقدية، خصوصاً وإن طريقة جمع الضرائب

والرسوم الجمركية، كانت طريقة الإلتزام التى تعرض فى المزاد كل عام.

وبناء عليه كان ملتزمو الضرائب يخضعون لرقابة صارمة فى كل خطوة حتى لا تضار مصالح التاجر أو مصالح دافعى الضرائب، ولذلك كان من الصعوبة تحقيق ربح يسير من عملية الالتزام وبات الحصول على الملتزمين بمرور الزمن أمراً عسيراً للغاية.

سابعاً: ملامح التأثير فى الحياة السياسية:

لقد وضح تأثير الثقافة اليونانية فى كثير من مظاهر الحياة السياسية في الإسكندرية بصفة خاصة ومصر بصفة عامة ونلمس ذلك من خلال المعالجة التالية:

(أ) تأسيس المدن:

مما لا شك فيه أن بطليموس الذى غدا ملكاً علي مصر وفرعوناً وإلهاً فى نظر رعاياه المصريين، وكان رجلاً دمث الطبع، طيب القلب وجندياً لا يعوزه الدهاء، ويمثل صورة صادقة لأفراد الطبقة الثانية من النبلاء المقدونيين، كما كان رجلاً مثقفاً شمل الآداب الإغريقية برعايته، ولذلك وضع مؤلفاً عن غزوات الإسكندر صار مرجعاً هاماً لمختلف أعمال المؤرخين عن تلك الحقبة التاريخية على المستوى العالمى (٤٥).

ولقد اتبع بطليموس فى مصر سياسة مخالفة لما اتبعه الإسكندر فى تشييد المدن ... وقد رأى إقامة جنده المرتزقة بين أفراد الشعب المصرى سواء أكان ذلك فى قرى الإقليم أو في عواصمها بدلاً من إقامتهم فى مدن

إغريقية الطراز ... وكانوا يطلقون على هذه العواصما إسم متروبوليس Me-tropolis وهي مدن متوسطة الحجم ولكنها في نظر الإغريق لم تكن أكثر من قرى كبيرة .. وبالرغم من أن الإغريق قد أسموها مدناً Polis مثل هرموبوليس – مدينة هرميس Hermopolis (الأشمونين)، وهيراكليوبوليس مدينة هيراكليس Heraclepolis (أهناسيا) إلا أنها لم تتمتع بالحكم الذاتي ولم تكن بها جمعيات شعبية ولا مجلس للشورى (كما كان يحدث إبان حكم الإسكندر) كما أنها كانت تخضع لسلطات مدير الإقليم ..

بناء عليه لم يشيد بطليموس Ptelemos إلا مدينة إغريقية واحدة سميت باسمه وهي مدينة بطلمية Ptelemais (المنشأة بإقليم جرجا) على الشاطئ الغربي للنيل في مصر العليا .. وكانت هذه المدينة مع الإسكندرية والمدينة الإغريقية القديمة نقراطيس Nacratis في الدلتا هي التي تمثلت فيها فكرة الإغريق عن المدينة الهلينية الحرة ... ونود أن ننوه إلى أن سياسة بطليموس وخلفائه في عدم التوسع في إنشاء المدن الإغريقية كما حدث في سوريا على يد سليوكوس ثم بطليموس الثاني كان يتعارض مع سياسة الحكم الملكي المطلق التي اتبعها البطالمة في وادي النيل ..

ب- التميز العنصري:

لقد فرق ملوك البطالسة عكس سياسة الإسكندر بين جميع الرعايا في مصر .. فقد فرقوا بين الإغريق (المقدونيين) والمصريين فبينما كان الإغريق سادة، كان المصريون مسودين ينتمون إلى جنس أدنى .. وبناء عليه أبعدوا عن الجيش وعن الوظائف الإدارية الكبرى .. وقد فهم أن عملية اختيار

الإسكندرية عاصمة للبلاد بدلاً من منف التى استقر بها لاجوس فى أول الأمر ودفن بها الإسكندر بعد استيلائه على جثته، ثم عملية نقل جثة الإسكندر إلى مقبرته فى الإسكندرية، على هذه الأعمال من قبيل التخلى نهائياً عن فكرة إشراك المصريين فى إدارة شئون البلاد ومن ثم جعلهم أنداداً للإغريق.

كما نجد إختلافاً فى الوضع القانونى للإغريق والمصريين فبينما تمتعت القوات المقدونية بإمتيازات معينة، فإن أعمال السخرة فى شق قنوات الرى وإقامة الجسور كانت من نصيب الفلاحين المصريين وحدهم(٤٦).

ولقد انتظم الإغريق وغيرهم من المستوطنين فى جاليات لها قوانينها الخاصة .. وبالرغم من أن البطالمة الأول قد أخذوا بقسط وافر من الحضارة الهلينية إلا أنهم في سياستهم الرسمية قد بعدوا عن النظريات الخيالية .. فكانوا حكاماً شديدى المراس ورجال أعمال يحرصون على توفير الاستقرار والثراء والنقود فى العالم للدولة التى أقاموها .. وقد كان يميلون إلى الاعتبارات العملية ويبعدون عن الخيال والعواطف ..

ولقد اعتمد البطالمة اعتماداً كبيراً فى تكوين جيوشهم على المرتزقة من الإغريق والمقدونيين والفرس والأسيويين المتأغرقين خصوصاً بعد انقطاع صلتهم بين وطنهم الأصلى مقدونيا الذى كان يمد الإسكندر بالجنود هذا من ناحية .. ثم لأن المصريين لم يكن قد جندوا جيوشاً قوية منذ انتهاء عهد إمبراطوريتهم العظيمة فى خلال الألف الثانية ق.م.

ولقد اتبع بطليموس الأول سياسة من شأنها تدعيم عن طريق :

* إسكان أكبر عدد من هؤلاء المرتزقة في مصر عن طريق منحهم إقطاعات من الأرض الزراعية نظير قيامهم بالخدمة العسكرية عندما يطلب منهم ذلك.

* التوسع فى استخدام النقود بدلاً من الاعتماد على المقايضة فى إتمام الصفقات والتعاملات التى يقوم عليها النظام الاقتصادى.

* الاعتماد علي الإغريق وخبرائهم لتنفيذ مشروعات استصلاح الأراضى وللقيام بتجارب عملية فى الميدان الزراعى ..

* اللجوء الي رجال الإدارة الإغريق لإقامة هذا البناء البيروقراطي المحكم الذي أدار دفة الأعمال في المملكة .

* أصبحت الكويني «koine» التي تعد صورة دولية للغة الإغريقية اشتقت من الأتيكتة بل طغت علي اللهجة المقدونية وصارت لغة البلاط والجيش والإدارة .

* اتجاه أنظار ملوك البطالمة إلي ما وراء حدود مصر الي شرقي البحر المتوسط حيث كانوا يتطلعون إلي القيام بدور رئيسي .. حيث كانوا ينظرون إلي مصر كدعامة لقوتهم وكضيعة غنية تمدهم بالغلال وتفيض عليهم بالثراء (٤٧). ولقد اختلف العلماء في تفسير سياسة البطالمة الخارجية فيذهب كورنمان Kornemann إلي أن البطالمة الأوائل كانوا يطمحون إلي بسط سلطانهم ونفوذهم علي جميع أرجاء العالم شأنهم في ذلك شأن الإسكندر الأكبر الذي كان هدفه بناء إمبراطورية عالمية يصوغ فيها فكرته

الوحيدة عن الوحدة بين البشر أجمعين ... بينما يري فيلكن «Wilcken» أن مصر كانت في نظر ملوك البطالمة مجرد وسيلة للحصول علي الثروة اللازمة لتحقيق أهدافهم خارجها وتتمثل في لعب دور رئيسي في سياسة البحر الأبيض المتوسط الدولية وتكوين امبراطورية في حوضه ...

ويري روستفتزف «Rostovtzeff» أن مصر كانت فى نظر ملوك البطالمة هدفا فى ذاته وإذا كانوا يريدون بناء دولة قوية غنية في وادى النيل وعلى شواطئ البحرين الأبيض والأحمر، وتستطيع أن تزود عن استقلالها، ومن أجل هذا كانوا مضطرين إلي السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إلى مصر .. وإلى الاستيلاء على ما يسمى ملحقات مصر الطبيعية .. ويرى أن سياسة البطالمة كانت سياسة استعمارية دفاعية وليست استعمارية وهذا يدفعنى للقول على أية حال أن مصر بثرائها وخبراتها وطبيعة موقعها المتفرد والمتميز على البحرين كانت تمثل مركز الإمبراطورية التى ينشد البطالمة إنشائها هذا من ناحية .. ثم أن بطليموس الأول كان قائداً فى مدرسة الإسكندر الأكبر وشارك معه فى كثير من غزواته على فنون الحرب والقيادة وشاهد عن كثب طموح الإسكندر وكيف كان تحقيقه تدريجياً، خصوصاً وأن الإسكندر قد ترك وراءه إمبراطورية اقتسمها قواده وكان أحدهما بطليموس ابن لاجوس الذى وقع اختياره على مصر وإقامة عاصمته فى منف ثم الإسكندرية لموقعها الفريد والمتميز على البحر المتوسط والتى كانت حلم الإسكندر الذى تحقق بعد وفاته ... واعتقد أن البطالمة كانوا يعتمدون على مصر لثرائها وتوفر الغلال والقمح والخبرات التى تمثل المدد

للجيوش التى سيفزون بها الأقطار لاخضاعها والاستيلاء عليها لتحقيق إمبراطوريتهم.

* لم يحاول أحد من ملوك البطالمة باستثناء كليوباترا الأخيرة تعلم اللغة المصرية .

أ) وضع المصريين فى مصر:

لقد رحب المصريون بالإسكندر كمنقذ لبلادهم، ثم لحسن معاملته لهم ولاحترامه لآلهتهم .. عكس ما حدث لهم فى عصر ملوك البطالمة .. فقد كان المصريون يعاملون معاملة الأدنياء المغلوبين على أمرهم. وتمثل الإحساس بذلك بعدم المساواة بينهم وبين الإغريق فى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية .. وعلى الرغم من ذلك فقد تكونت فى مصر طبقة أرستقراطية وطنية قوامها بعض كبار رجال الدين وقلة من المدنيين الذين شغلوا بعض المناصب الهامة، إلا أن عامة المصريين كانت تنتمى إلى طبقة اجتماعية من طبقة المستوطنين الإغريق ... فكانوا هم أصحاب الحرف ومزارعى الأراضى الملكية، وإذا منحوا إقطاعات أو اقتنوا أراضى خاصة، فإن أراضيهم كانت أقل مساحة فى أراضى الإغريق وإقطاعاتهم. فقد كانوا بصفة عامة مستأجرين وعمالا كانوا أداة التنفيذ بينما كان الإغريق أداة التوجيه ... وقد قابل المصريون هذا الوضع وتدنى المركز بروح العداء الصامت وبرد فعل طبيعى تمثل فى الكبرياء القومى، وفى ازدراء بدع المستعمرين .. وتوجد بعض الأدلة التراثية تتضمن بعض قصاصات من النبوءات ومن الآداب القومية التى تدل على وجود حزب قومى نشيط كان رجاله يحلمون باليوم

الذى يطرد فيه الأجنبى البغيض [٤٨].

وبالرغم من أن موقف معظم المصريين من النظام الجديد كان موقفاً سلبياً، فقد تعلم كثير منهم الإغريقية وتسمى بأسماء إغريقية .. وام يتوانوا عن الإفادة من الظروف الجديدة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وبناء عليه احتل البعض كما سبق القول المناصب الإدارية العليا ... وبينما النال هكذا للمصريين بصفة عامة فقد وجد الكهنة الذين يعتبرون معقل التقاليد القومية، ومعين القادة والزعماء للثورات الشعبية أن حكامهم الجدد أخف وطأة عليهم من حكامهم القدامى .. ومرد ذلك أن البطالمة قد شيدوا معابد جديدة ووسعوا المعابد القديمة ولم ينتقصوا من امتيازات الكهنة... وكان من ثمار هذه الرعاية الملكية أن قام الكاهن المصرى مانيثون Manethon بكتابة تاريخ لمصر باللغة الإغريقية جمعه من سجلات المعابد وأفواه الناس.. وبالرغم من فقد هذا التاريخ إلا أنه كان المصدر الرئيسى لتاريخ مصر القديم حتى فكت رموز الهيروغليفية ..

وبالرغم من تعدد الثورات ذات الطابع القومى التى استنزفت قوى البلاد خلال القرنين الثانى والأول .. إلا أنه ليس هناك ما يؤكد على أن المصريين قد ثاروا جميعاً ثورة عامة ضد حكامهم المقدونيين، فطالما انقسموا إلى فريقين أحدهما يقف إلى جانب الحكومة والآخر فى جانب الشعب، ولقد قاد باوس Paos المصرى قيادة القوات الملكية فى إقليم طيبة بوصفه مديراً لهذا الإقليم [٤٩].

ب) وضع الإغريق فى مصر:

لقد تميز الإغريق سواء أولئك الذين عاشوا فى الإسكندرية أو بطلمية بتقاليدهم الهلينية ونظروا إلى المصريين نظرة احتقار باعتبارهم من المتبربرين. إلا أن أولئك الذين استقروا فى سائر أنحاء البلاد سرعان ما تخلوا من عزلتهم الذين تمسكوا بها فى بادئ الامر وبدأوا فى التصاهر مع الوطنيين وتسموا بأسماء مصرية واندمجوا تدريجياً وبطريق شتى فى بيئتهم الجديدة ... وما يؤكد ذلك وجود رسالة تتحدث فيها سيدة عن ابنها الذى أخذ يتعلم اللغة المصرية كوسيلة لتحسين مركزه المالى ...

ويجدر الإشارة إلى أن الإندماج قد بدا واضحاً فى الناحية الدينية .. حيث أظهر الإغريق تواماً تسامحهم الدينى واستعدادهم لعبادة الآلهة الأجنبية ... وما يؤكد ذلك تشبيههم الآلهة والإلهات المصرية بنظائرها الإغريقية إلى الحد الذى يجعل القارئ للوثائق البردية يتساءل عند قراءة أسماء الآلهة الإغريقية هل المقصود معبوداً أو معبودة مصرية ... وهناك احتمال بانصراف الإغريق عن عبادة الآلهة الأولمبية (*) إلى عبادة الآلهة المصرية .. فى عام ٩٨ وعام ٩٥ ق.م. نجد مجموعة من شباب الإغريق الذين يتعلمون وفقاً للتقاليد الهلينية يقدمون الهبات للتمساح إله الفيوم.

وإذا كان الإسكندر الأكبر كان يهدف من فتوحاته العسكرية تحقيق حلم الوحدة بين أوروبا وآسيا بما فيها مصر ... فإن هذه الوحدة لم تقم على أساس المشاركة أو المساواة التى كان يبغيها الإسكندر .. إذ كانت العلاقة بين الطرفين علاقة غالب بمغلوب وإذا كان كثير من الشرقيون قد

تعلموا اللغة الإغريقية ولبسوا الزى الإغريقى وأخذوا بقسط لا بأس به من الثقافة الإغريقية فإن الإغريق من ناحيتهم قد اقتبسوا الكثير من بيئتهم الشرقية ولاسيما فى الناحية الدينية ... وينطبق ذلك بصفة خاصة على مصر حيث عاش الإغريق المستوطنون مبعثرين بين الوطنيين المصريين فى بلد يعتز بطابعه الخاص كل الاعتزاز، لا فى مدن حرة مستقلة منعزلة .. بناء عليه ظهرت حضارة مختلطة امتزجت فيها العناصر الشرقية بالعناصر الإغريقية امتزاجاً معقداً، وكانت هذه الحضارة بمثابة التربة الخصبة التى كان لابد منها لظهور المسيحية وانتشارها .. إلا أن هذا الامتزاج لم يقم على أساس وطيد، حيث إن الحضارة الهلينية كانت تنهكها المؤثرات الشرقية ولم تكن تستطيع أن تحتفظ بمقوماتها إلا إذا رعتها الحكومة رعاية فعالة .

وإجمالياً فإن هذه الحضارة لم تكن أكثر من قشرة خجبت حضارة موغلة فى القدم تختلف عنها تمام الاختلاف، وكانت هذه القشرة رقيقة إلى حد كبير فى إقليم طيبة أبعد أقاليم مصر عن الإسكندرية وعالم البحر المتوسط .. ومرد ذلك تركز نفوذ رجال الدين بقوة هذا من ناحية، ثم لأن عدد الإغريق المستوطنين قليل (٥٠).

خاتمة البحث ونتائجه

لقد أبرز البحث تأثير الثقافة اليونانية على جميع مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعملية التأثير والتأثر بين الثقافة اليونانية والثقافة الفرعونية وما ينتج عن ذلك من عمليات الاقتباس والاستعارة والاقتناء بين الثقافتين السمات المادية وغير المادية فى الثقافتين ... وخلص البحث إلى عدة نتائج نجمل أهمها فيما يلى :

١- لقد كان الإسكندر يهدف عدة أهداف من وراء تأسيس الإسكندرية، فحضارياً لأن تصبح مدينته الجديدة معيناً لا ينضب للحضارة الإغريقية بنشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحه وإخضاعه لسلطانه .. وعسكرياً باعتبارها قاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرق البحر الأبيض المتوسط، وتجارياً كميناء خصوصاً بعد تحطيمه ميناء صور وهو فى طريقه لمصر.

٢- لقد كان حلم الإسكندر وهدفه النهائى هو توحيد العالمين الشرقى والغربى .. وكان اتجاهه نحو الشرق واستمرار فتوحاته وانتصاراته خصوصاً وأن الجزر كانت منتشرة بشكل واضح فى حوض بحر إيجة مما جعل من السهولة بمكان إمكانية قيام اتصالات بين شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى.

٣- أن الاتصال بين حضارة العالم الشرقى والعالم الغربى قد تخلف عنه اقتباس أو استعارة لبعض السمات الثقافية المادية وغير المادية بين هذين العالمين، إلا أنه لم يصل لحد التمثيل الثقافى على حد تعبير كانثروبولوجيين.

٤- لقد تدفق تيار الهجرة الإغريقى للبلاد التى فتحها لهم بعد وفاته وحمل هؤلاء المهاجرون معهم فنونهم وآدابهم وأساليب معيشتهم كما نقلوا أنظمتهم المدنية ومعاهدهم جيمينازيوم وألعابهم وأعيادهم، أى مختلف عناصر التراث الثقافى لهم وكان لابد لهم من أن يحدث بينهم وبين أبناء المواطن الأصلية فى مصر وآسيا إتصالا ثقافياً.

٥- لقد قسم سكان الإسكندرية بوجه عام إلى خمسة عناصر وتمثل بوجه عام خمس طبقات من ناحية الوضع الاجتماعى فى المدينة .. فقد إنقسم العنصر الإغريقى إلى ثلاثة عناصر ... المواطنين الكاملين أى السكندريين وكانوا من الأسر العريقة ولهم كافة حقوق المواطنه الكاملة .. وطبقة أنصاف المواطنين الذين لا يتمتعون بكافة حقوق المواطنة. وطبقة الإغريق الفقراء الذين توافدوا سعياً وراء الرزق .. وعنصر القدونيين ويمثلون طبقة ممتازة واليهود والفرس ثم المصريين الذين كانوا من أصحاب الحرف.

٦- تأثرت معظم الجاليات بالصبغة اليونانية فيما عدا المصريين الذين بعدوا عن مظاهر الحياة الإغريقية خصوصاً بعد تميز كل العناصر والجاليات الأخرى عنهم فى كل أمور الحياة .. فكان الإغريق يغطون كل نواحى الأنشطة السياسية والثقافية والعسكرية ويمثلون سنداً عنصرياً يجابهون به المصريين.

٧- اقتصار العضوية فى المدن اليونانية فى مصر على لطبقات الممتازة من الإغريق ... ولم يقبل البطالمة على إنشاء مدن مستقلة فاقتصروا على المدن التى كانت موجودة قبل قيام دولتهم مثل نقراطيس شمال غرب

الدلتا .. ولم ينشئ البطالمة سوى بطليمة فى أعلى الصعيد ... وكان هدفهم من نظام المدن هو محاولة حفظ جماعات من العنصر الإغريقى نقية دون أن تختلط بالمصريين.

٨- عدم التزاوج بين المصريين والإغريق حتى يبقى الدم الإغريقى نقياً فى عروقهم وكانت المدن الكبيرة قاصرة على العناصر الممتازة من الإغريق.

٩- كانت اللغة الرسمية لسكان مصر البطلمية هى اللغة اليونانية وهى لغة الطبقة الحاكمة ... أما المصريون فقد استمروا يتحدثون اللغة المصرية القديمة وانقسمت إلى شعبتين .. اللغة الفصيحة وتكتب بالحروف الهيروغلوفية .. واللغة العامية وكانت تكتب بالحروف الديموطقية وهذه الأخيرة دخلها كثير من التأثيرات اللغوية اليونانية.

١٠- حرص البطالمة بكل الطرق على تزويد مكتبة الإسكندرية بالنسخ الأصلية من المؤلفات الموجودة فى عصرهم، أو الترجمات اليونانية لما كتب بغير هذه اللغة ... ولقد طغت شهرة مكتبة الإسكندرية على الجامعة حيث أن القائمين على الإشراف عليها يمثلون نخبة ممتازة من أهل الفكر والثقافة.

١١- لقد شهدت الإسكندرية نهضة فنية رائعة .. فقد أدت للفن خدمات جليلة خصوصاً وأن الأدب السكندرى قد تخطى حدود موطنه ليترك أثره فى قطاحل أدباء اللاتين أمثال فرجيل وهوراس .. كما أن الفن السكندرى قد تغلغل ببعض أبوابه ونفذ أثره عميقاً فى غيره من الفنون اللاحقة.

١٢- لقد وجد الفن بالإسكندرية أرضاً خصبة لما ناله من تشجيع وتقدير السكان ... خصوصاً وأن اليونانيين والمصريين معروفون تاريخياً

بعشقهم للفن منذ أقدم العصور .. وقد تفردت مدرسة الإسكندرية الفنية عن مدارس الفن المختلفة فى العصر الهلينستى.

١٣- لقد كان للمنافسة الشديدة بين ملوك البطالمة أثر بالغ الأهمية فى تشجيع إنتاج التماثيل الصغيرة والسلع المزخرفة بكميات كبيرة لاستخدام الناس بكثرة لها فى تزيين المنازل ولتأنس موتاهم فى مقابرهم ولتزيين المكتبات والأماكن العامة .. وبناء عليه نشطت صناعة هذه المقتنيات الفنية لتلبية الطلب المتزايدة عليها.

١٤- تميزت الحياة الدينية فى مصر بتعدد المعتقدات .. حيث وجدت جاليات متعددة بالإسكندرية كالإغريق والفرس واليهود والعرب .. الخ وكان طبيعيا أن تتعدد الديانات .. ولقد ظل المصريون يعبدون آلهتهم ويتمسكون بمعتقداتهم المتوارثة خصوصاً مع تقرب الإغريق البطالمة لاسترضاتهم.

١٥- أوجد البطالمة ديانة جديدة فى محاولة للتقريب بين المصريين والإغريق تقوم على فكرة الثالوث الذى قدم للإغريق فى شكل إغريقى وللمصريين فى شكل مصرى .. أى فى شكل إنسانى للإغريق وفى شكل حيوانى للمصريين .

١٦- انقسم نظام الإراضى إلى عدة أقسام، منها أراضى الملك، واراضى المعابد، والاقطاعات العسكرية، وإقطاعات الموظفين وأراضى الملكية الشخصية....

١٧- أضاف البطالمة مساحات شاسعة للأراضى المنزرعة فى مصر بعد استصلاح الأراضى وزراعة كل أراض بما يتناسب مع جودتها من النباتات.